المدح والذم[1]

يأتى معنى المدحِ أو الذم إنشاءً لا إخبارًا فى اللغةِ العربيةِ فى ثلاثةِ تراكيب:

أولها:

استخدام (نعم) فى المدح، و (بئس) فى الذم.

ثانيها:

استعمال (حبذا) فى المدح، ونفيه بالسلب (لا حبذا) فى الذم.

ثالثها:

ضم عين الماضى من الأفعال، واستخدامه معنويا بدلالةِ جذرِه، إن مدحًا وإن ذمًّا.

نعم وبئس

كلمتان تستخدمان لإنشاءِ المدحِ العام والذمِّ العام، حيث لا يكون المدحُ أو الذمُّ موجودًا فى أحدِ الأزمنةِ قبل النطق بهما، وهما يعبران عما يكمن فى النفسِ من مشاعرِ المدحِ أو الذمِّ، فهما ليسا بإخبارٍ يحتاج إلى التحاورِ بسببِ التصديقِ والتكذيب.

---

(١) الكتاب ١ ـ ٧٣، ٢ ـ ١٧٥، ٣ ـ ٢٦٦ / المقتضب ٢ ـ ١٤٠، ٤ ـ ١١٥، ١١٦ / الواضح ٩٦ / اللمع فى العربية ٢٢١ / التبصرة والتذكرة ١ ـ ٢٧٤ / المقتصد فى شرح الإيضاح ١ ـ ٣٦٣ / المفصل ٢٧٢ / المرتجل ١٦٠ / أسرار العربية ٩٦ / المقدمة الجزولية فى النحو ١٥٩ / شرح ابن يعيش ٧ ـ ١٢٧ / شرح الرضى على الكافية ٢ ـ ٣١١ / المقرب ١ ـ ٦٥ / التسهيل ١٢٦ / الإرشاد إلى علم الإعراب ١٣٦ / شرح ابن الناظم ٤٦٧ / شرح ألفية ابن معطى ٢ ـ ٩٦٧ / شرح ابن عقيل ٣ ـ ١٦٠ / المساعد على تسهيل الفوائد ٢ ـ ١٢٠ / شفاء العليل ٢ ـ ٥٩٥ / الجامع الصغير ٧٧ / شرح جمل الزجاجى لابن هشام ١٨٩ / الصبان على الأشمونى ٣ ـ ٢٦ / الفوائد الضيائية ٢ ـ ٣١٢ / ارتشاف الضرب ٣ ـ ١٥ / كشف الوافية فى شرح الكافية ٣٨٧ / شرح التصريح ٢ ـ ٩٤.

obeikandi.com

نوعهما البنيوى

اختلف النحـويون فيـما بينهم فى النوعِ البنيـوى لـ (نِعْم وبئس) بين الاسميـةِ والفعليةِ على النحوِ الآتى[1]:

أولا: هما فعلان:

ذهب البصريون والكسـائى من الكوفيين إلى أنهمـا فعلان ماضيـان، واستدلُّوا لذلك بما يأتى:

أ- إلحاق تاءِ التأنيثِ الساكنةِ بهما، فتقول: نعمت المرأة، وبئست المرأة.

وتاءُ التأنيثِ السـاكنةُ تختص بإلحاقِهـا بالفعلِ الماضى، فهى من علامـاته، كما تلحق بالأحرف: لات، وربت، وثمت، ولعلت، وإلحاق تاء التأنيث الساكنة بنعم وبئس إنما هو حالة جواز لا وجوبٍ.

ب- إسنادُهما إلى ضمـير الرفعِ المتصل، كمـا يسند الفعلُ إليه، فقـالوا: نعمَا رجلين، ونعمُـوا رجالا..، كمـا قالوا: قامَـا، وقامُوا. حـيث الإسنادُ إلى ألفِ الاثنَيْن وواوِ الجماعةِ.

كما يضمر فيهما إذا قلت: نعم رجلًا، حيث فاعلُ (نعم) ضميرٌ مستترٌ تقديرُه: هو، ولا يضمر الضميرُ إلا فى الفعل[2].

ج- بناؤُهما على الفتح كالأفعالِ الماضية.

د- دخول لامِ القسمِ عليهمـا، وهى لا تدخلُ إلا على الأفعالِ، وقد ورد ذلك فى قولِ زهير:

يمـــينًا لنعم الســـيدان وجـــدتما على كلِّ حالٍ من سحيل ومبرَم[3]

---

(١) ينظر: أسرار العربية ٩٦، ٩٧ / شرح الموصلى لألفية ابن معطى ٢ ـ ٩٦٧، ٩٦٨.

(٢) ينظر: التبصرة والتذكرة ١ ـ ٢٧٥ .

(٣) ديوانه ١٥ / شفاء العليل ٢ ـ ٥٩٠ / شرح الموصلى الألفية ابن معطى ٢ ـ ٩٦٧.

سحيل: الخيط الذى لم يحكم فتله، وهو كناية عن الأمـر السهل، مبرم: الخيط الذى أحكم فتله، وهو كناية عن الأمر الشديد.

Oberkanal.com

وفى رواية: لعمرى، وكلتا الروايتين مصدرةٌ بقسم، فاللام فى (لنعم) فى جوابِ القسم، فهى لامه.

وفى قولِه تعالى: ﴿**وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**﴾ [النحل: ٣٠]. والتقدير: والله لنعم، حيث اللامُ واقعةٌ فى جوابِ قسمٍ محذوف.

هـ- ورود (نعم) معطوفًا على الماضى فى قولِه تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ**﴾ [الصافات: ٧٥]. حيث عطف (نعم) على الماضى (نادى)، كما أن اللامَ فى (لنعم) لامُ القسم، والتقدير: فواللهِ لنعم...

ثانيا: هما اسمان:

ذهب الفراءُ وسائرُ الكوفيين إلى أنهما اسمان، واستدلوا على ذلك بما يأتى[(١)]:

أ ـ دخول حرفِ الجر عليهما: من علاماتِ الاسمِ دخولُ حرفِ الجرِّ عليه، ويستشهد أصحابُ هذا الرأى بقولِ الأعرابى الذى بُشِّر بمولودة: «واللهِ ما هى بِنِعْم الولد، نصرُها بكاءٌ، وبرُّها سرقة». حيث دخل حرفُ الجر (الباء) على (نعم) بما يدلل على أنه اسمٌ.

ومنه قولُ أعرابى آخر، وقد توجَّه إلى محبوبتِه على حمارٍ بطىءِ السير: «نعم السيرُ على بِئْس العَيْر»، فأدخل حرفَ الجر (على) على الكلمةِ (بئس).

ومنه قولُ حسان بن ثابت:

ألسْتَ بنعمَ الجارِ يؤلفُ بيته ... أخَا قِلَّةٍ أو معدوم المال مصرما

حيث دخل حرفُ الجرِّ (الباءُ) على (نعم).

ومنه كذلك قولُ الشاعر:

صَبَّحَكَ اللهُ بخيرٍ باكرٍ ... بنعمَ طيرٍ وشبابٍ فاخرِ[(٢)]

---

(١) يرجع إلى: أسرار العربية ٩٦.

(٢) شرح ابن الناظم ٤٦٧ / الهمع ٢ ـ ٨٤ / العينى ٤ ـ ٥٢ / الصبان على الأشمونى ٣ ـ ٢٧ / الدرَ ٢ ـ ١٠٨ / الدر المصون ١ ـ ٢٩٩.

لكن غيرَهم يقدر موصوفًا محذوفًا مع صفته بعد حرفِ الجر، وما هو بعد حرفِ الجرِّ من (نعم) أو (بئس) يكون معمولًا للصفة، والتقدير: ما هى بولدٍ مقولٍ فيه نعم الولد، على عير مقولٍ فيه بئس العير.

وعليه يقدر فى قول حسانِ محذوفٌ تقديرُه: ألَسْت بجارٍ مقولٍ فيه نعم الجار.

ب ـ كما يستشهدون على اسميتهما بأنهما لا يتصرفان، والتصرفُ من خصائص الأفعال.

ويرد على ذلك بأن وضعَهما لإنشاءِ المدحِ والذم يكون للآن أو الحاضر، وليس للماضى ولا للمستقبل، فلم يحتاجا إلى تصرف.

ج- وكذلك لا يحسن اقترانُ الزمان بهما كسائرِ الأفعالِ، ويرد على ذلك بما رد عليه فى السابق.

د- يستشهد أصحابُ هذا الاتجاه كذلك بما حكاه قطرب من صيغة فى (نعم) على مثال: شديد وكريم (نعيم)، وهى كالصفةِ المشبهة، فتكون اسمًا،ويرد عليه بأن هذا شذوذٌ، ونشأت الياءُ عن إشباع الحركةِ، فلا دليلَ فيه.

هـ- جواز دخولِ لامِ الابتداءِ عليهما، وهى لا تدخل على الفعلِ الماضى إلا إذا كان مقرونًا بـ (قد). فيقال: إن المهملَ لبئس المواطن.

و- دخول أداةِ النداءِ عليهما، فقد حكَوْا: يا نعم المولى، نعم النصير.

ويرد عليه بأن فيه منادى محذوفًا، والتقدير: يا مَنْ هو نعْم المولى.

ما يختص بالفعلين (نعم وبئس)

أولا: غير متصرفين:

نعم وبئس فعلان غيرُ متصرفين، فهما من الأفعالِ الجامدة، ويعلل لعدمِ تصرفِهما بما يأتى[1]:

(١) ينظر: شرح ألفية ابن معطى للموصلى ٢ ـ ٩٦٧.

obeikandi.com

أ- لـمَّـا وضعا لإنشـاء المـدحِ والـذمِّ العامَّـين خرجـا عن أصلِهـما إلى شـبهِ الحرفِ، فنقلا عما وضعا له من الدلالةِ على المضى وصارا للإنشاءِ.

ب- التـصرف مناف للإنشـاء؛ لأن الإنشاء يتـلاءمُ مع بناءِ الكلمـة على شكلٍ واحد، لكن معنى الخبرِ يتلاءمُ مع التـصرفِ، ومعنى المدحِ والذم إنشاءٌ؛كما ذكرنا فى أكثرَ من موضع؛ لذا فـ (نعم وبئس) جامدان غيرُ متصرِّفين.

فتـقول: الأمـينُ نِعْمَ مواطنًا، الأمـينان نعم مواطنَيْن، الأمناءُ نعم مـواطنِين. الوفية نعم امرأةً، الوفيتان نعم امرأتَيْن، الوفيات نعْمَ نساءً.

ثانيا: بناؤهما:

فى (نعْم وبئس) أربعُ لغات:[1]

١- (نَعمَ وبئس) مثل: علم: (بفتح فكسر).

٢- (نِعِم وبَئِس) بكسر فكسر (وتكسر النونُ والبـاءُ لكسرةِ العين والهمزةِ؛ لأن العينَ والهمزةَ حلقيان، وهما عينُ الكلمةِ مكسوران، فتكسر فاؤهما إتباعًا لعينهما فى لغات. وقيل: بفتحٍ ففتحٍ، أى: بفتحِهما معًا[2].

٣- (نَعْم وبَأْس) بفـتح فسكون، حيث النـونُ والباءُ مفـتوحتـان على الأصل، وتسكن العينُ والهمزةُ للتخفيف.

٤- (نِعْم وبِئْس) بكسر فسكون، حيث تسكن العينُ للـتخفيف، أو بنقلِ كسرةِ العين والهمزةِ إلى النونِ والباءِ، فتكسـر النونُ والباءُ وتسكن العينُ والهمزة. وهذه أكثرُ اللغاتِ انتشارًا.

ثالثا: جواز إلحاقِ تاءِ التأنيثِ بهما:

يجوز أن تلحقَ بـفعلى المدحِ والذمِّ تاءُ التأنيث إذا أسـندا إلى مؤنث، فتـقول: نعمت المرأةُ التى ترعى حقوقَ اللهِ، وبئست المرأةُ التى تهملُ تربيةَ أبنائِها.

---

(١) التسهيل ١٢٦ / شفاء العليل ٢ ـ ٥٨٥. وهى اللغات التى تكون فى كل فعلٍ أو اسمٍ حلقىِّ العين.

(٢) ينظر: المقرب ١ ـ ٦٦.

مع التنبيه إلى أنه يجوز أن تُسقطَ تاء التـأنيث من الفعلين؛ لأن فاعلَهما المؤنثَ الظاهرَ إنما هو اسمُ جنسٍ، والجنسُ مذكر، فتقول: نعمت المرأةُ سعادُ، ونعمَ المرأةُ سعـادُ، وبئسـت المرأةُ المنافقـةُ، وبئس (المرأة. . . ، فالمرأةُ فـاعلُ نعم وبئس) اسمُ جنسٍ، فتسقـط التاء نظرًا لمعنى اسم الجنسِ وهو التذكير، وتثبـتها نظرًا لِلَّفظِ وهو المؤنثُ.

فاعلهما:

يكون فـاعلُ (نعم وبئس) واحـدًا من: المعرف بـالأداة، والمضاف إلى المعـرف بالأداة، والضمير المستتر المميز بالنكرة، و(ما)، وندرس كلًّا على حدةٍ.

١- المعرف بالأداة:

قـد يكون فـاعلُ (نعم وبئس) مـعرفًـا بالألفِ واللام، كـقـولِك: نعم المسلمُ المتمسكُ بشعب الإيمان، بئس المواطنُ الذى يعيش لنفسِه.

كلٌّ (من المسلم والمواطن) فاعلٌ لنعم وبئس مرفوع،وعلامةُ رفعه الضمة، وهما معرفان بالألفِ واللامِ.

من ذلك قولُه تعالى: ﴿**فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾ [الأنفال: ٤٠، الحج: ٧٨] ﴿**وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ [البقرة: ٢٠٦].

٢- أن يكونَ مضافًا إلى المعرفِ بالأداة:

وذلك بأن يكون فاعلُ (نعم وبئس) مضافًـا إلى المعرف بالأداة فى أى مرتبةٍ من مراتبِ الإضافةِ إلى المعرفةِ، نحو: نعم رئيسُ الحىِّ رئيسُ حـيِّنا يجعلُ حيَّه كبيتِه، بئس مـوظفُ الحكومـةِ جـارُنا، فـهـو لا يؤدى عـملَه بأمـانة. كلٌّ من (رئيس، وموظف) فاعلٌ لـ (نعم وبئس) مرفوعٌ، وهو مضافٌ إلى معرفٍ بالأداة.

ومنه قولُـه تعالى: ﴿**فَبِـئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّـرِينَ**﴾ [الزمر: ٧٢]، ﴿**وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**﴾ [النحل: ٣٠].

وقد يكون مضافًا إلى ما أضيف إلى ما فيه أداةُ التعريف، ومنه قولُ أبى طالب ابن عبد المطلب:

فنعم ابنُ أختِ القومِ غيرَ مكذَّبٍ زهيرٌ حسامٌ مفردٌ من حَمَائِل[1]

فاعل (نعم) هو المرفوع (ابن) وهو مضافٌ إلى مضافٍ إلى معرفٍ بالأداةِ (أخت القوم).

ومنه قولُه تعالى: ﴿**وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**﴾ [النحل: ٣٠]، ﴿**فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ [النحل: ٢٩].

مدلول الأداة فى فاعل (نعم وبئس):

يختلف النحاةُ فيما بينهم فى مدلولِ الألفِ واللامِ فى فاعل فعلَى المدحِ والذم على النحوِ الآتى[2]:

أ- منهم من يرى أن أداةَ التعريفِ لاستغراقِ الجنس، وعلى رأسِ هؤلاء أبو على الفارسى، ويكون على سبيلِ المبالغة والمجاز، فاللامُ ليست للعهد.

ويفسرون ذلك بأن الفعلَيْن لما وضعا للمدحِ العام والذم العام جعل فاعلُهما ليطابقَ معناهما دالًّا على الجنسِ، وهو معنى عام، ثم يدخل المخصوصُ بالمدحِ أو الذمِّ فى هذا الجنس.

---

(١) ينظر: المساعد ٢ ـ ١٢٥ / شفاء العليل ٢ ـ ٥٨٦ / العينى على الأشمونى والصبان ٢ ـ ٢٨.
(نعم) فعل ماض مبنى على الفتح. (ابن) فاعل مرفوع، وعلامةُ رفعه الضمة. والجملة الفعلية فى محل رفع، خبر مقدم، أو لا محل لها من الإعراب. (أخت) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (القوم) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (غير) حال منصوبة، وعلامة نصبها الفتحة. (مكذب) مضاف إليه مجرو،ر وعلامة جره الكسرة. (زهير) مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، أو مبتدأ خبره محذوف، أو خبر لمبتدإ محذوف. وهو المخصوص بالمدح. (حسام) خبر لمبتدإ محذوف مرفوعٌ، وعلامة رفعه الضمة، والتقدير:هوحسام. (مفرد) خبر ثان للمبتدإ المحذوف. وفيهما رواية النصب على أنهما حال ونعتها. (من حمائل) جار ومجرور، وشبه الجملة متعلقة بمفرد.
تلحظ أن (حمائل) مجرور بالكسرةِ للضرورة الشعرية، لأن علامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة ؛لأنه ممنوع من الصرف.
(٢) ينظر: الرضى على الكافية ١ ـ ٣١٢ / شرح ابن يعيش ٧ ـ ١٣.

ب- ومنهم من يرى أن الأداةَ ليست لاستغراقِ الجنس، ويستدل لذلك بأن أداةَ التعريفِ عندما تفيد الاستغراق فإنه يصح إضافةُ ما عرفت به إلى (كل)، كما هو فى قولِه تعالى: ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ [العصر: ٢]، أى: كل الإنسان، ولا يصح ذلك فى القولِ: نعم الرجلُ زيدٌ، أى: كل الرجل.

وأصحابُ هذا الرأى لا يقبلون معنى المبالغةِ والمجاز، حيث لا يقال: أنت الرجلُ، مقصودًا به: كلُّ الرجل، ولكن تقول: أنتَ الرجلُ كلُّ الرجل.

لكنه بالتمعن نجد أنه لا يجوز القولُ: نعم كلُّ الرجلِ زيدٌ ؛ لأنه يفهم منه أن أفرادَ الرجلِ متعددةٌ حقيقة، وأنها عينُ زيد، وذلك محال، ولذلك لم يجز القولُ: أنت كل الرجل.

وكما يجوز أن يقالَ: أنت الرجلُ كلُّ الرجل، يجوز أن يقالَ كذلك: نعم الرجلُ كلُّ الرجل زيدٌ، إذ يقصد منه المبالغة.

- **تنبيه:**

لأن الألفَ واللامَ للجنس فإنه يمكن القولُ: نعم المحمدُ محمدٌ رسولُ الله ﷺ. ونعم الإبراهيمُ إبراهيمُ خليلُ الله. ذلك لأن المحمدَ والإبراهيمَ جنسٌ لكلِّ محمدٍ ولكلِّ إبراهيم.

٣ ـ المضمر المستتر المميَّز:

قد يكون فاعلُ (نعم وبئس) مضمرًا مستترًا مميزًا ومفسرًا بنكرةٍ تليه، فالضميرُ الفاعلُ فى هذا البابِ ضميرٌ مبهمٌ؛ لذا احتاج إلى ما يفسرُه وهو التمييزُ النكرةُ، نحو قولِ الأخطل:

أبو موسى فجدك نعمَ جدا وشيخُ الحى خالُك نعم خالا[1]

(١) (أبو) مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو؛ لأنه من الأسماء الستة، (موسى) مضاف إليه (أبو) مجرور، وعلامة جره الكسرة المقدرة. (فجدك) الفاء عاطفة تعقيبية فصيحة؛ إذ بينت أن أبا موسى الذى هو نعم الجد جدُّه. (جدك) خبر لمبتدإ محذوف تقديره: هو، وضمير المخاطب مبنى فى محل جر بالإضافة. والتقدير عندى: أبو موسى نعم جدا فهو جدك. (نعم) فعل ماض مبنى على الفتح، =

المخصوصُ بالمدحِ (أبو موسى) مبتدأٌ مرفوعٌ، وعلامةُ رفعِه الواو، و(موسى) مضافٌ إليه مجرور، وعلامةُ جره الكسرة المقدرة.

و(نعم) فعلٌ ماض مبنى على الفتح، وفاعلُه ضمير مستتر تقديره: (هو)، (جدا) تمييزٌ للضمير المستتر منصوبٌ، وعلامةُ نصبِه الفتحة. والجملةُ الفعليةُ (نعم جدا) فى محلٍّ رفع، خبر المبتدإ (أبو).

ومنه قول الشاعر فى مدح هرم بن سنان:

نعم امرأً هرمٌ لم تَعْرُ نائبةٌ إلا وكان لمرتاعٍ بها وَزَرا[1]

حيث استتر الضميرُ المبهمُ الفاعل لـ (نعم)، وقد ميز بالنكرة المنصوبة (امرئ)، أما المخصوصُ بالمدحِ فهو المرفوعُ (هرم).

ومنه قول الآخر:

لنِعْم مَوْئِلا المولى إذا حُذِرَت بأساءُ ذى البَغْيِ واستيلاءُ ذى الإحَنِ[2]

= وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، والجملة الفعلية فى محل رفع، خبر المبتدإ. (جدا) تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. وفيه أوجهٌ إعرابيةٌ أخرى تبعا لتقدير المنطوق والمحذوف. (وشيخ) الواو عاطفة حرف مبنى، لا محل له من الإعراب. شيخ: مبتدأ مجرور وعلامة جره الكسرة. (خالك) بدل أو عطف بيان من شيخ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. (نعم) فعل ماض مبنى على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو. والجملة الفعلية فى محل رفع، خبر المبتدإ. (خالا) تمييز للضمير المستتر منصوب، وعلامة نصبه الفتحة.

(١) شرح شذور الذهب ١٥١/ شرح التصريح ١- ٣٩٢، ٢- ٩٥/ الصبان على الأشمونى ٣- ٣٢.
(نعم) فعل ماض مبنى على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو. (امرأ) تمييز للضمير المستتر منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب، أو: فى محل رفع، خبر مقدم. (هرم) المخصوص بالمدح، وهو مبتدأ خبره محذوف، أو خبر لمبتدإ محذوف، أو: مبتدأ مؤخر. (لم) حرف نفى وجزم وقلب مبنى، لا محل له من الإعراب. (تعر) فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة. (نائبة) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. (إلا) حرف استثناء مبنى، لا محل له من الإعراب. (وكان) الواو: واو الحال أو الابتداء حرف مبنى، لا محل له من الإعراب. كان: فعل ماض ناقص ناسخ مبنى، لا محل له من الإعراب. واسم كان ضمير مستتر تقديره: هو. (لمرتاع) جار ومجرور، وشبه الجملة متعلقة بوزر. (بها) جار ومجرور مبنيان، وشبه الجملة متعلقة بمرتاع. (وزرا) خبر كان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، والألف للإطلاق. وجملة كان ومعموليها فى محل نصب، حال.

(٢) شرح التسهيل ٣- ٩/ شرح الكافية الشافية ٢- ١١٠٦/ الصبان على الأشمونى ٣- ٣٢.
نعم فعل ماض مبنى على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو. (موئلا) تمييز منصوب، وعلامة =

والتقدير: نعم هو موئلا...

ومنه قولُ الشاعر:

نعم امـــرأَيْن حـــاتِمٌ وكـــعبُ كـلاهُما غـيْثٌ وسيفٌ عَـضْبُ[1]

وفيه فاعلُ (نعم) ضميرٌ مستترٌ مميزٌ بالنكرةِ المثنَّاة (امرأيْن)، أما المخصوصُ فهو (حاتم وكعب).

وقول الراجز:

تقول عِـرْسى وَهْى لى فى عَـوْمَرَة بئـس امـــرأً وإننى بِئْـس المرَة[2]

= نصبه الفتـحة. والجملة فى محل رفع، خبر مـقدم. أو لا محل لها من الإعراب. (المولى) مبـتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة. أو مبتـدأ خبره محذوف، أو خبر لمبتدإ محذوف. (إذا) ظرف زمان مبنى فى محل نصب متعلق بنعم. (حذرت) فعل ماض مبنى على الفتح، والتاء للتأنيث حرف مبنى، لا محل له من الإعراب. (بأساء) نائب فـاعل مرفوع، وعلامـة رفعـه الضمة. والجـملـة الفعلية فى محـل جـر بالإضـافـة إليه إذا. (ذى) مـضاف إليه بأسـاء مجرور وعلامـة جره الياء. (البغى) مـضاف إلى ذى مجرور. (واستيلاء) حرف عطف مبنى، ومعطوف على بأساء مرفوع. (ذى) مضاف إليه استيلاء مجرور بالياء. (الإحن) مضاف إليه ذى مجرور. وعلامة جره الكسرة.

(١) الصبان على الأشمونى ٣- ٣٢/ هامش ضياء السالك ٣- ٩٣.

(نعـم) فعـل مـاض مبنى على الفـتح، وفاعلـه ضمير مستتـر تقديـره: هو. (امرأين) تمييز للفاعل المستتر منصوب، وعلامة نصبـه الياء لأنه مثنى. والجملة الفعلية فى محل رفع، خبـر مقدم،أو لامحل لها من الإعراب. (حاتم) مبـتدأ مؤخر مرفوع، وعـلامة رفعه الضمة، أو مبـتدأ خبره محذوف، أو خـبر لمبتدإ محذوف. (وكـعب) الواو: حرف عطف مبنى، لا محل له من الإعراب. كـعب: معطوف على حاتم مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. (كلاهما) مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة. وضمير الغائبين مبنى فى محل جر بالإضـافة. (غيث) خبـر المبتـدإ مـرفوع، وعلامـة رفعـه الضمـة. (وسـيف) عاطف مبنى ومعطوف على غيث مرفوع. (عضب) نعت لسيف مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

(٢) شرح التسهيل ٣- ١٣/ شرح ابن عقيل ٣- ١٦٢/ الصبان على الأشمونى ٣- ٣٢.

عرس الرجل بكسر فاء الكلمة امرأته/عومرة: صخب وجلبة، المرة: أى: المرأة، بتخفيف الهمزة.

(تقول) فعل مـضارع مرفوع، وعـلامـة رفعـه الضمـة. (عـرسى) فـاعل مرفـوع، وعلامة رفعـه الضمة المقدرة، منع من ظهورها اشتغـال المحـل بالكسـرة المناسبة لضمـير المتكلم. والياء ضمير مبنى فى محل جر. (وهى) الواو للابتداء أو للحال، حرف مبنى لا محل له من الإعراب. هى: ضمير مبنى فى محل رفع مبتدإ. (لى) جار ومجرور مبنيان، وشبه الجملة فى محل نصب حال. (فى عومـرة) جـار ومجـرور وشبه الجملـة فى محل رفع، خبر هى، أو متعلقة بخبر محذوف، والجملة الاسمية (هى فى عومرة) فى محـل نصب، حـال. (بئس) فعل مـاض مبنى على الفتـح، وفاعلـه ضمير مستتـر تقديـره: هو. (بئس) فعل مـاض مبنى على الفتـح، وفـاعلـه ضميـر مـستتـر تقديـره: هو. (امـرأ) تمييز للضـمير المستـتر =

أى: بئس هو امرأً.

خصائص الضمير المستتر فى (نعم وبئس):

أ- الإبهام:

الفاعلُ الضميرُ المستتر فى جملة المدحِ والذمِّ ليس راجعًا إلى المبتدإ، أى: ليس عائدًا على المخصوصِ، لكنه ضميرٌ مبهمٌ؛ لذا احتاج إلى ما يفسرُه ويميزه، فتكون النكرةُ المنصوبةُ التى يذكر بعدها، كقولك: نعم مؤمنا الرجلُ الصدوق، وبئس صفةً الكذبُ.

ذلك لأن المضمرَ قبل الذكرِ على شريطةِ التفسير فيه شبهٌ من النكرة.

و(نعم وبئس) لا يليهما معرفةٌ محضةٌ، بل يليهما اسمُ جنسٍ، فضارع المضمرُ هنا اسمَ الجنس بعدهما، فكان فيه إبهامٌ احتاج إلى تفسير.

ب- يلزم الإفراد:

الضميرُ المبهمُ الفاعلُ لـ (نعم وبئس) لا يثنى ولا يجمع -على الأرجح- وذلك لجمودِ الفعلَيْن، وإلحاقُ ما يدل على المثنى والجمع بالفعل نوعٌ من التصرف.

كما أن شدةَ إبهامِ الضميرِ يبعده عن التثنيةِ والجمع؛ لأنهما يخصصان بسببِ إفادةِ معناهما. وقد استغنَوْا بتثنيةِ التمييزِ وجمعِه عن ذلك.

ج- تمييز الضمير المبهم عددًا:

تمييز الضميرِ المبهمِ الفاعلِ لـ (نعم وبئس) يجوز أن يثنى وأن يجمعَ وأن يؤنثَ، ولا يجوز إظهارُ الضميرِ - حينئذٍ - كما ذكرنا فى السمةِ السابقة، فتقول:

نعم مواطنًا المتقنُ عملَه.

= منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. (وإننى) الواو حرف عطف مبنى، لا محل له من الإعراب. إن: حرف توكيد ونصب مبنى، لا محل له من الإعراب، والنون للوقاية حرف مبنى، لا محل له من الإعراب. وضمير المتكلم مبنى فى محل نصب، اسم إن. (بئس) فعل ماض مبنى على الفتح. (المرة) فاعل بئس مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. والجملة الفعلية فى محل رفع، خبر إن. وجملة إن ومعموليها معطوفة على سابقتها.

نعم مواطنَيْن المتقنان عملَها.

نعم مواطِنين المتقنون عملَهم.

نعم مواطنةً المتقنةُ عملَها.

نعم مواطنتَيْن المتقنتان عملَهما.

نعم مواطناتٍ المتقناتُ عملَهن.

وتقول:

نعم أبًا المربى أولادَه على الإخلاص.

نعم أبوين المربيان أولادَهما على الإخلاصِ.

نعم آباءً المربُّون أولادَهم على الإخلاص.

نعم أمًا المربيةُ أولادَها على الإخلاص.

نعم أمَّيْن المربيتان أولادَهما على الإخلاص.

نعم أمهاتٍ المربياتُ أولادَهن على الإخلاص.

كما تقول:

بئس رجالًا الذين يهملون حقوقَ الجار.

بئس نسوةً اللاتى يتبرجْن تبرجَ الجاهليةِ الأولى.

نعم امرأتَيْن اللتان تتزينان بالأخلاقِ الكريمة.

ـ وقد ذهب الجزولى ومن تبعه إلى وجوبِ الإفراد.

د- الفصل بين الضمير ومميزه:

لا يفصل بين فاعلِ (نعم وبئس) الضميرِ المبهمِ ومميزِه، ذلك لشدةِ احتياجِه إليه.

ويجوز أن يكون الفصلُ بينهما بشبهِ الجملةِ، كما ورد فى قوله تعالى: ﴿**بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً**﴾ [الكهف: ٥٠]، حيث فعلُ الذم (بئس) ماضٍ مبنى على الفتح،

obeikandi.com

وفاعلُه ضميرٌ مستترٌ تقديره: (هو)، و(بدلا) تمييزٌ مفسرٌ للفاعل المستترِ المبهم. (للظالمين) جار ومجرور، وعلامة جره الياء، وشبه الجملةِ فى محل نصبٍ حال، أو متعلقة بمحذوفٍ حالًا، أو متعلقة بفعلِ الذم. وقد فصلت شبه الجملة بين فاعل (بئس) وتمييزِه الذى يفسره (بدلا). أما المخصوصُ بالذمِّ فهو محذوفٌ، تقديره: (إبليس وذريته).

وما سمع من مثلِ القولِ: نعم زيدٌ رجلًا ؛ فهو شاذ حيث الفصلُ بين فاعلِ (نعم) الضمير ومميزه (رجلا) بغيرِ شبه الجملةِ (زيد).

مع ملاحظة أن جوازَ الفصلِ بين الفاعِل فى (حبذا) ومفسرِه جائز، حيث يقال: حبذا زيدٌ رجلًا.

هـ- الضمير والإتباع:

لا يجوز أن يُتبعَ الضميرُ المبهمُ فى (نعم وبئس)، أى: لا يجوز أن يذكرَ بعده نعتٌ، أو توكيدٌ، أو بدلٌ، أو عطفٌ.

و- الجمع بين الفاعل الظاهر والتمييز:

يختلف النحاةُ فيما بينهم فى قضيةِ الجمعِ بين الفعلِ الظاهرِ لنعم وبئس والتمييزِ، حيث يذهب سيبويه والسيرافى وجمهورُ النحاةِ إلى منعِ الجمعِ بين الفعلِ الظاهرِ والتمييزِ فى جملتى المدحِ والذم، فهم يرَوْن أن التمييزَ لرفعِ الإبهام عن مميَّزِه المبهم، ولكن الإبهامَ يزول بظهورِ الفاعل؛ لذا لا يجوز تمييزُ الفاعلِ الظاهر.

ـ أما المبردُ والفارسى ومن نحا نحوهم فإنهم يذهبون إلى الجمعِ بينهما لإفادةِ التوكيد، فليس وجودُ التمييزِ لفاعل (نعمَ أو بئس) الظاهرِ لزوالِ الإبهام، وإنما لإثبات التوكيد.

ويستدلون على ذلك. بقولِ الشاعر:

نعم الفتاةُ فتاةً هندُ لو بذلت ردَّ التحيةِ نطقًا أو بإيماء[1]

(١) ارتشاف الضرب ٣ ـ ٢٢/ شرح التصريح ٢ ـ ٩٥/ الصبان على الأشمونى ٣ ـ ٣٤. =

حيث فاعلُ (نعم) (الفتاة)، أما (فتاة) النكرةُ المنصوبة فهى تمييزٌ لفاعلِ (نعم) الظاهر، والمخصوصُ بالمدحِ (هند).

ويجعلون منه قولَ جرير فى هجاءِ الأخطل:

والتغلبيون بئس الفحلُ فحلُهم فحلًا وأمُّهمُ زلاَّءُ مِنْطيقُ[1]

(الفحل) فاعل (بئس) مرفوع، و (فحلهم) مخصوص بالمدح مرفوع، (فحلا) تمييز للفاعلِ الظاهرِ (الفحل). وبعضهم يخرج (فحلًا) على أنها حالٌ مؤكدة لا تمييزٌ[2].

أما قولُ جريرٍ وهو يمدح عمرَ بنَ عبد العزيز:

= (نعم) فعل ماض مبنى على الفتح. (الفتاة) فاعل مرفوع وعلامة رفع الضمة، والجملة إما لا محل لها من الإعراب، وإما فى محل رفع خبر مقدم. (فتاة) تمييز منصوب، وعلامة نصبة الفتحة، أو حال منصوبة. (هند) المخصوص بالمدح، فيكون: إما مبتدأ خبره محذوف، وإما خبرًا لمبتدإٍ محذوف، وإما مبتدأ مؤخرا. (لو) حرف مبنى على السكون، لا محل له من الإعراب، إما للتمنى، وإما للشرط فيكون جوابُ شرطه محذوفا. (بذلت) فعل ماض مبنى على الفتح، والتاء: حرف تأنيث مبنى لا محل له من الإعراب. وفاعله ضمير مستتر تقديره: هى. (رد) مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. (التحية) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (نطقا) تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، أو مصدر منصوب واقع موقع الحال، والتقدير: ناطقة، أو منصوب على نزع الخافض، أى: بنطق. (أو بإيماء) حرف عطف، وحرف جر، ومجرور بالكسرة، وشبه الجملة معطوفة على نطق.

(١) شرح ابن الناظم ٤٧٠/ شرح ابن عقيل ٣ ـ ١٦٤/ شرح التصريح ٢ ـ ٩٦/ الصبان شرح الأشمونى ٣ ـ ٣٤/ الزلاء: اللاصقة العجز الخفيفة الإلية/ المنطيق: يعنى بها ـ هنا ـ المرأة التى تتأزر بحشية تعظم عجيزتها.

(والتغلبيون) الواو بحسب ما قبلها. التغلبيون: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم. (بئس) فعل ماض مبنى على الفتح. (الفحل) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. والجملة الفعلية فى محل رفع، خبر مقدم. (فحلهم) مبتدأ مؤخر مرفوع، وضمير الغائبين مبنى فى محل جر بالإضافة، وجملة الذم فى محل رفع، خبر المبتدإ (التغلبيون). (فحلا) تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. (وأمهم) الواو حرف عطف مبنى، أو حرف استئناف مبنى، لا محل له من الإعراب. أم: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة، وضمير الغائبين مبنى فى محل جر بالإضافة. (زلاء) خبر المبتدإ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. (منطيق) خبر ثان لأم مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

(٢) ينظر: المقرب ١ ـ ٦٨ .

تزوَّدْ مـــثـلَ زادِ أبيك فـــينا فـنِـعْـمَ الـزادُ زادُ أبـيـك زادًا[1]

ففيـه الاسمُ المعرفُ بالأداةِ المرفوعُ (الزاد) فاعلُ (نعم)، أما المخـصوصُ المرفوعُ فهو (زادُ أبيك)، ولكن المنصوبَ (زادًا) يخرجُ على أنه معمولٌ لتزَوَّدْ.

ـ يذهب آخرون إلى جوازِ الجـمعِ بين فاعلِ فعلَى التعجبِ الظاهرِ والتـمييزِ؛ إن أفاد التمييزُ معنى زائدًا على الفاعلِ الـظاهرِ، وصححه ابنُ عصفور، ويجعلون من ذلك قولَ أبى بكر بن الأسود المعروفِ بابن شعوب:

تخـيـــرَه فلم يَعْـــدِلْ سِـــواه فنعـم المرءُ من رجل تـهـــامى[2]

---

(١) ينظر: المقـتضب ٢ ـ ١٥٠/ المرتجل ١٦٩/ شـرح ابن يعيش ٧ ـ ١٣٢/ المقـرب ١ ـ ٦٩/ شرح ألفـية ابن معطى ٢ ـ ٩٧٠/ شرح ابن عقيل ٢ ـ ١٣٢/ الخزانة ٤ ـ ١٠٨/ ديوانـه ١٣٥.
(تزود) فعل أمر مبنى على السكـون، وفـاعله ضمير مستتر تقديره: أنت. (مـثل) مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. أو حال من زاد الأخيرة منصوبة، حيث التقدير: تزود زادا مثل، فلما تقدم النعت على المنعوت النكرة أصبح حالا. (زاد) مـضاف إليه مجرور. (أبيك) مضاف إلى إليـه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه من الأسماء الستة. وضمير المخـاطب مبنى فى محل جر بالإضافة. (فينا) جار ومجرور مبنيـان، وشبه الجملة مـتعلقة بالتـزود. (فنعم الزاد) الفاء للتعليل، وفـعل ماض وفاعله، والجملة خـبر مقدم. (زادا) تعرب تمييزا منصوبا، أو مفعولا لتزود.
وإليك تفصيل القول فى إعراب (زادا)، حيث يمكن أن يكون فيه الأوجهُ الآتية:
ـ (زادًا) تعرب عند المبرد وأبى على تمييزًا للتأكيد بعدَ الفاعلِ الظاهر، ويمنعه الآخرون.
ـ لكن الجمهورَ يذهب فى إعرابها إلى أنها مفعولٌ به لـ (تزود)، والتقديرُ: تزود زادًا مثلَ زاد. . . . . ، وعليه فإن (مثل) تكون منصـوبةً على الحاليةِ من (زادًا)، ذلك لأنها صفةٌ لها، فلمـا تقدمت الصفةُ على موصوفِها النكرةِ أصبحت حالاً.
ـ يجـوز أن يكون (زادًا) مصـدرًا مؤكـدًا من الفعل (تزود)، ولكن زوائدَه قـد حذفت، فـالمراد: تزود تزودا، وهذا ما يذهب إليه الفراء.
ـ ويجوز أن توجـهَ إعرابَه على أنه منصـوبٌ على تمييـزِ المثلية (مـثل زاد أبيك زادًا)، والعامل فـيه نعم، فيكون كقولك: لى مثلُه كتابًا.
(٢) شرح ابن يعيش ٧- ١٣٣/ المقرب ١- ٦٩/ الهمع ٢-٨٦ /الصبان على الأشمونى ٣- ٣٥.
(تخيره) فعل ماض مبنى على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، وضمير الغائب المتصل مبنى فى محل نـصب، مفعـول به (فلم) حرف عطـف، وحرف نفى وجـزم وقلب مبنيـان، لا محل لهـما من الإعراب. (يعدل) فـعل مضارع مجزوم، وعـلامـة جزمـه السكـون، وفاعلـه ضـمير مستـتر، تقديـره: هو. (سواه) مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة، منع من ظهورها التعذر. وضمير الغائب مبنى فى محل جر بالإضافة. (فنعم) الفاء حرف تـعقيبى عاطف مبنى، لا محل له من الإعراب. نعم: فعل ماض مبنى على الفـتح. (المرء) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمـة. (من) حرف جر زائد مبنى،=

حيث (المرء) فاعلُ (نعم)، وهو ظاهرٌ، و(رجل) تمييزه المجرورُ بـ (من)، وهو موصوفٌ بتهامى، فأفاد معنىً زائدًا عن معنى الفاعل، وهو المعنى الكامنُ فى الصفةِ.

٤ ـ أن يكونَ (ما):

قد يذكر (ما) بعد (نعم وبئس) مباشرةً، كقولك: نعم ما فعلته اليوم حضورُك المحاضرة، وللنحاةِ فى (ما) هذه آراءٌ مختلفة، تعكس مدى خلافِهم فيها، نوجزُها فيما يأتى:

أ- لا محل لها من الإعراب:

حيث ذهب الفراءُ إلى أن (ما) مع فِعْلَى المدحِ والذم شىءٌ واحدٌ، رُكِّبا تركيب (حبذا) أو (كلما)، وظاهرُ ذلك أن (ما) فى هذا التركيبِ لا محلَّ لها من الإعراب.

أو أنها كافةٌ لنعم وبئس، حيث هيأتهما للدخولِ على الجمل، كما تفسر فى: طالما، وقلَّما، وكثرما....

ـ ذهب جمهورُ النحاةِ إلى أن لها محلًّا من الإعراب، لكنهم اختلفوا فيما بينهم بين محلَّى الرفعِ والنصبِ، على النحوِ الآتى:

ب- تكون فى محل نصب تمييزا:

ذهب الأخفش والفارسى واختاره الزمخشرى إلى أن (ما) فى محلِّ نصبٍ على التمييز لفاعل (نعم أو بئس) المضمرِ المستترِ، أما الجملةُ التى تلى (ما) فهى:

- إما فى محلِّ نصبٍ، صفة لتمييز (ما)، والتقدير: نعم هو شيئا الذى فعلته...

= لا محل له من الإعراب. (رجل) تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. (تهامى) نعت لرجل مجرور، وعلامة جره الكسرة المقدرة.

- وإما أن تكونَ فى محلِّ رفع، نعت لمخصوصٍ محذوفٍ، يقدرُ بـ(شىء)، ويكون تقديرُ الكلامِ: نعم شيئًا شىءٌ فعلته اليوم.

- وإما أن تكونَ لا محلَّ لها من الإعراب؛ على أنها صلةٌ لـ (ما) أخرى مقدرة بعد (ما) المميزة، وتكون (ما) المقدرةُ اسمًا موصولًا مخصوصًا بالمدح، والتقدير: نعم شيئًا الذى فعلته...

ج- تكون اسما موصولا:

ذهب بعضُ النحاة -وعلى رأسِهم الفراءُ والكسائى- إلى أن (ما) فى هذا التركيب اسمٌ موصولٌ بمعنى الذى،وهو فاعلُ فعلى المدح والذم، والجملة التى تليها صلتُها، والتقدير: نعم الذى فعلته اليوم... وينسب هذا الرأى إلى سيبويه والفارسى أيضًا، وهذا الرأىُ هو الأكثرُ شيوعا، وأرجحُ قبولا.

د- تكون مصدريةً:

يذهب بعضُ النحاةِ إلى أن (ما) بعد (نعم وبئس) مصدرية، وتكون مع الجملةِ التى تليها مصدرًا مؤولًا فاعلًا للمدح أو الذمِّ، والتقدير: نعم فعلُك اليوم...

هـ- تكون معرفةً تامةً:

يذهب سيبويه إلى أن (ما) بعد فعلى المدحِ والذم معرفةٌ تامة بمعنى (شىء)، وهى الفاعل، والتقدير: نعم الشىءُ شىءٌ فعلته اليوم، وعليه فإن المخصوصَ بالمدحِ يكون محذوفًا.

ـ يذهب أبو على والمبردُ ويرجحه كثيرٌ من النحاةِ منهم ابنُ الحاجب والرضى إلى أنه يجوز أن يكونَ فاعلُهما اسمًا موصولًا (الذى، أو: من، أو: ما) دالًّا على الجنس، أى، تكون صلتُها عامةً لا مخصوصةً. ويستدلون على ذلك بقولِ الشاعر:

فنعم مرزاء من ضاقَتْ مذاهبُه ونعم مَنْ هو فى سرٍّ وإعلان[1]

(١) المساعد ٢ ـ ١٣١ / مرزاء: مصدر ميمى، ورجل مرزاء أى كريم يصيب الناس خيره، ويروى: فنعم مزكأ، وهو مفعل من زكأت إلى فلان، أى: لجأت إليه.

حيث فاعلُ (نعم) فى الشطر الثانى هو الاسمُ الموصولُ (من).

وعلى رأى هؤلاء يمكن القولُ: نعم الـذى هو صالحٌ المؤمن. ومنه: ولنعم دارُ مَنْ لم يَرْضَ بها دارًا.

ملحوظتان:

أ ـ هل يؤكد فاعلُ المدحِ والذم؟

قد يؤكدُ فـاعلُ (نعم وبئس) المعرفُ بالأداة أو المضافُ إلى ما فيـه الأداةُ توكيدًا لفظيا، وذلك بتكريرِه، فـتقول: نعم الرجلُ الرجلُ محـمدٌ وبئس المواطنُ المواطنُ الخائنُ.

لكنه لا يؤكـدُ توكـيدًا مـعنويًّا، وهو اتفـاقٌ[1]؛ لأن التـوكيـدَ المعنوى يكون للمعارفِ -عند البصريين- وفاعلُهما فى معنى النكرة.

أما إذا كان الفاعلُ ضميرًا مستترًا أو (ما) فإنه لا يؤكد.

ب ـ وصف فاعلِ المدحِ والذم:

يجـوز أن يوصفَ فاعلُ (نـعم وبئس) المعرفُ بالأداة،أو المضـافُ إلى مـا فيـه الأداةُ، أو إذا كان (مـا) -خلافًـا لابن السراج- ويخـرجون عليـه قـولَـه تعـالى: ﴿**بِئْسَ الرِّفْـدُ الْمَـرْفُـودُ**﴾ [هود: ٩٩]. ويوجـه المعـارضـــون (المرفـود) على أنه المخصوص.

كما يجعلون منه قولَ زهير بن أبى سلمى:

نعْم الفـــتى الـمُـــرِّىُّ أنت إذا هم شَبُّـوا لدى الحجـراتِ نارَ الموقد[2]

حـيث يعـربون (المرى) عـلى أنه نعتٌ لفـاعلِ (نعم)، وهـو (الفـتى). ولكن المعارضين يوجهونه على أنه بدلٌ.

---

(١) ينظر: شفاء العليل ٢ ـ ٥٨٧ .

(٢) ينظر: ديوانه ٢٧٥ / الأصـول ١ ـ ١٤٢ / التبـصرة والـتذكـرة ١ ـ ٢٧٨ / مغنى اللبـيب ٢ ـ ٥٨٧ / المساعد ٢ ـ ١٢٨ / الخزانـة ٤ ـ ١١٢ / الأشمونى ٣ ـ ٨٥. المرى: نسبة إلى مرة، الحـجرات: البيوت التى ينزل فيها الضيوف.

لكن جوازَ نعتِ فاعلِ (نعم وبئس) لا يسرى عليه إذا كان ضميرًا، حيث لا يجوز نعتُ الضمير.

شروط المخصوص:

ذكرنا أن أسلوبَ المدحِ أو الذمِّ إنما هو معنى مدحٍ أو ذمٍّ لمخصوصٍ بأىٍّ منهما، ففيه مبالغةٌ فى المعنى؛ لذلك فإن المخصوصَ بالمدحِ أو الذمِّ يجب أن يتوافرَ فيه شروطٌ؛ كى تصحَّ العلاقةُ بينه وبين معنى المدحِ أو الذم من جانبٍ، والمخصوصِ من الجانبِ الآخر. وهى:

١- أن يطابقَ المخصوصُ الفاعل:

يجب أن يطابقَ المخصوصُ فاعلَ (نعم وبئس)، ويعنى بالمطابقةِ هنا صحةُ إطلاقِ الفاعلِ على المخصوصِ معنويًّا، أو العكس، أى: يكون من جنسِ فاعلِه، حيثُ التعلقُ المعنوىُّ بينهما.

فإذا قلت: نعم المواطنُ محمدٌ؛ فإن المواطنَ هو محمدٌ، كما أن محمدًا من جنسِ المواطنين.

لذلك فإن المخصوصَ يصلحُ للإخبارِ به عن الفاعلِ، حيث يجوزُ القولُ: المواطنُ محمدٌ، ويكون الفاعلُ (المواطن) مبتدأً، خبرُه المخصوصُ (محمدٌ).

فإن باين المخصوصُ الفاعلَ كما فى قولِه تعالى: ﴿**بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ [الجمعة: ٥][(١)]؛ فإنه يتأولُ على وجهَيْن:

---

(١) فيه الأوجهُ الإعرابية الآتية:

- أن يكونَ (مثل) فاعلَ (بئس) مرفوعًا، وعلامةُ رفعه الضمة، ولم ينونْ للإضافة. والاسمُ الموصولُ (الذين) مضافٌ إلى المخصُوصِ الحقيقى المحذوف، فأقيمَ المضافُ إليه مقامَ المضافِ، فأصبح مبنيّا فى محلِّ رفعٍ على أنه المخصوصُ، والتقدير: بئس مثلُ القومِ مثلُ الذين....
- أن يكونَ فاعلُ (بئس) ضميرًا مستترًا مميزًا بنكرة محذوفة، والتقدير: بئس مثلاً مثلُ القوم الذين... فيكون (مثل) المذكورُ المخصوصَ بالذمِّ. ويكون الاسمُ الموصولُ فى محلِّ جرٍّ، نعت للقوم.
- أو أن يكونَ (مثلُ) فاعلَ (بئس)، أما المخصوصُ فهو محذوفٌ، ويكون (القوم) مضافًا إليه (مثل)، والاسم الموصول فى محلِّ جرٍّ، نعت للقوم، والتقدير: بئس مثل القوم الذين كذبوا مثلهم...

تلحظ أنه قدِّر المخصوص إذا كان محذوفًا (مثل)؛ كى يكونَ من جنسِ الفاعلِ المذكورِ، ومطابقًا له.

أولهما: أن يكونَ الاسمُ الموصولُ صفةً لـ (القوم)، ويكون المخصوصُ محذوفًا، والتقديرُ: بئس مثل الذين القومِ كذبوا مثلُ هؤلاء. . .

والآخر: احتساب المخصوصِ مضافًا إلى (الذين)، فلما حذفَ المضافُ قام المضافُ إليه مقامه، والتقدير: بئس مثل القوم مثل الذين. . .

٢- أن يكونَ المخصوصُ مختصًّا:

من سماتِ المخصوصِ بالمدحِ أو الذمِّ أن يكونَ مختصًّا، ذلك لأنه يذكر بعد فاعلِهما، وفاعلُهما مبهمٌ، فكأنه يكون للتخصيصِ بعد الإبهامِ الكامنِ فى الفاعل.

فالفعلان (نعم وبئس) لمعنى المدحِ والذمِّ العامَّيْن؛ لذلك فإن فاعلَهما يتضمن معنى المدحِ والذمِّ على سبيلِ الإجمال، والإجمالُ كامنٌ فى معنى الجنسِ الذى يمثلانه، والمخصوصُ جزءٌ من فاعلِهما، أو: فردٌ من جنسه، فكأنك أجملْت الممدوحِين أو المذمُومين، ثم يذكر المخصوصُ بعد ذلك على سبيلِ التفصيلِ والتخصيص.

لذلك فإن اسمَ الممدوحِ أو المذمومِ يجب أن يكونَ أخصَّ من الفاعل، ولا يكون أعمَّ ولا مساويًا.

ملحوظة:

فاعل (نعم وبئس) والتمييز والمخصوص شىءٌ واحدٌ:

لو أمعنا حقيقةَ العلاقةِ المعنويةِ بين فاعلى (نعم وبئس) ومفسرِه المميزِ له والمخصوصِ فيما سبق لوجدنا أن مفسرَ الفاعلِ ومميزَه إنما هو هو؛ لأن المفسِّرَ (بكسرِ العين) والمفسَّرَ (بفتح العين) إنما هما واحدٌ، وإلا لما كان هناك تفسيرٌ حقيقى، كما أن المخصوصَ جزءٌ من فاعلِ (نعم وبئس)؛ لأن المخصوصَ خاص، والفاعلَ عامٌّ، ولابدَّ أن يصدُقَ العام على الخاص، وينسلخَ الخاصُّ من العام، ومن هنا تبدو العلاقةُ المعنويةُ بين فاعلِ (نعم وبئس) ومميِّزِه والمخصوصِ، فلابُدَّ أن يكونَ الثلاثةُ شيئًا واحدًا.

ولتلحْظ معى القولَ: نعم مواطنًا محمدٌ، فاعلُ (نعم) ضميرٌ مستترٌ تقديره: هو. ويعنى: الشىء، أو قل: الرجل، فتجد أن: الرجلَ، ومواطنًا، ومحمدًا شىءٌ واحدٌ، وكلٌّ منها يصدق على الآخرَيْن.

لكننا لا ننسى أن مدلولَ الفاعل أعمَّ من مدلولِ المخصوص، حيثُ يكونُ المخصوصُ جزءًا من أجزاء مدلولِ الفاعل؛ لأنه يدلُّ على جنسِ المخصوص، والجنسُ أعمَّ من الخاص أو المختص، ويتضمنُه.

حذف المخصوص:

قد يحذف المخصوصُ فى موضعين:

أولهما: إذا تقدم فى الكلامِ ما يدلُّ على المخصوصِ بالمدحِ أو الذم فإن المخصوصَ يجوز حذفُه للعلم به، نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ [ص: ٤٤][1]. حيث المخصوصُ بالمدحِ تقديره: هو، ويعود على أيوبَ عليه السلامُ المذكورِ فى قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ**﴾ [ص: ٤١].

ومثلُه قولُه تعالى: ﴿**وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ**﴾ [الذاريات: ٤٨][2]، أى: فنعم الماهدون نحن.

ومنه قولُه تعالى: ﴿**فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ**﴾ [المرسلات: ٢٣]، أى: نحن. ﴿**وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**﴾ [النحل: ٣٠]. أى: الجنة. ﴿**فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد: ٢٤]، أى: عقْباهُم.

والآخر: أن يخلفَ المخصوصَ صفتُه: سواءٌ أكانت اسمًا، كقولِك: نعم

---

(١) (إنا) إن: حرف توكيد ونصب ناسخ مبنى، لا محل له من الإعراب، وضمير المتكلمين (نا) مبنى فى محل نصب، اسم إن . (وجدناه) فعل ماض، وفاعله ضمير المتكلمين مبنى، وهاء الغائب ضمير مبنى فى محل نصب، مفعول به أول (صابرا) مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، والجملة الفعلية فى محل رفع، خبر إن . (نعم العبد) فعل وفاعل . والجملة إما خبر مقدم، وإما لا محل لها من الإعراب . والمخصوص محذوف .(إنه)حرف توكيد ونصب، واسمه ضمير الغائب مبنى فى محل نصب. (أواب) خبر إن مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. والجملة استئنافية، أو تذييلية .

(٢) (الأرض) مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور، منصوب وعلامة نصبه الفتحة .

الصديقُ حليمٌ كريمٌ، أى: صديقٌ حليم كريم، فحذف المخصوصُ المحذوفُ، وأقيم مقامَه صفتُه.

وقولك: بئس الصاحبُ عذولٌ خذولٌ، أى: صاحبٌ عذولٌ خذولٌ.

أم كانت الصفةُ جملةً فعليةً.

ومنه قولُه تعالى: ﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ**﴾ [البقرة: ٩٠]. حيث يكون المخصوصُ فى أحد أوجه التحليلِ الإعرابى لهذا التركيبِ محذوفًا تقديرُه: (شىء)، وتكون الجملةُ الفعليةُ (اشْتَرَوْا) فى محلِّ رفعٍ، نعت للمخصوصِ المحذوف.

ومنه قولُ الأخطل:

إلى خالد حتى أَنَخْنَ بخالد فنعْمَ الفتى يُرَجَّى ونعم المؤمَّلُ[1]

أى: فنعم الفتى فتىً يرجى... فحذف المخصوصَ (فتى)، وأقام مقامَه صفتَه الجملةَ الفعليةَ (يرجى).

ومنه أن تقولَ: نعم الصاحبُ تستعين به، فيعينك، أى: صاحبٌ تستعين به...

دخول الناسخ على المخصوص:

قد يُسبقُ المخصوصُ بناسخ، سواءٌ أكان فعلًا ينصب معمولًا واحدًا، أم معمولَيْن، أم حرفًا، لكن رتبةَ المخصوص لفظًا تختلف بين الأفعالِ والحروف على النحوِ الآتى:

- إذا كان الناسخُ فعلًا ينصب معمولًا واحدًا (كان، وكاد)، أو ينصب معمولَيْن (ظن) فإنه يدخل على المخصوصِ مطلقًا، تقدمَ على جملتى المدحِ والذم، أم تأخر عنهما.

فتقول: كان محمدٌ نعم الصاحبُ. حيث سُبق المخصوصُ (محمد) بالفعلِ الناسخ (كان)، وأصبح اسمَه، وجملةُ المدح تكونُ فى محل نصب، خبره.

وتقول: ظننت محمدًا نعم الأخ. فيكون المخصوص (محمدا) مفعولٍ به أولَ لـ(ظن)، والمفعولُ الثانى جملةُ المدح (نعم الأخ) فى محل نصب.

(١) المساعد على تسهيل الفوائد ٢ ـ ١٣٦.

كما تقول: نعمَ الأخُ كان محمدٌ، وبئس المواطنُ ظننْتُ الخائنَ.

فتؤخر المخصوصَ المسبوق بالفعلِ الناسخ عن جملتى المدح والذم.

ومثله: صار محمدٌ نعم المواطنُ، حيث (محمد) اسمُ (صار) مرفوعٌ وعلامةُ رفعِه الضمةُ، وجملةُ (نعم المواطن) فى محلٍّ نصب، خبر (صار).

وتقول: نعم المواطن صار محمدٌ.

ومنه قولُ يزيد بن الطثرية:

إذا أرسلونى عند تعذيرِ حاجةٍ أمارسُ فيها كنتُ نِعْمَ الممارسُ[1]

تاء المتكلم ضمير مبنى فى محل رفع، اسم (كان)، وخبرها الجملةُ الفعليةُ (نعم الممارس) فى محل نصب.

وقول زهير بن أبى سلمى:

يمينًا لنعمَ السيدانُ وجِدْتُما على كلِّ حالٍ من سحيلٍ ومُبْرَمِ[2]

---

(١) ديوانه ٤٥ / شفاء العليل ٢ ـ ٥٩٠ / الأشمونى ٣ ـ ٣٨ / الهمع ٢ ـ ٨٧.

(إذا) اسم شرط غير جازم مبنى، فى محل نصب على الظرفية مضاف. (أرسلونى) فعل الشرط ماض مبنى على الضم، وواو الجماعة ضمير مبنى فى محل رفع، فاعل. والنون حرف وقاية مبنى، لا محل له من الإعراب، وضمير المتكلم مبنى فى محل نصب، مفعول به. والجملة الفعلية فى محل جر بالإضافة. (عند) ظرف زمان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، متعلق بالإرسال. (تعذير) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (حاجة) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (أمارس) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، وفاعله مستتر تقديره: أنا. (فيها) جار ومجرور مبنيان، وشبه الجملة متعلقة بالممارسة. والجملة الفعلية فى محل نصب، حال من ضمير المتكلم، أو فى محل جر، نعت لحاجة. (كنت) فعل الشرط ماض ناقص ناسخ مبنى على السكون، وضمير المتكلم مبنى فى محل رفع، اسم كان. (نعم الممارس) فعل ماض وفاعله مرفوع، والجملة فى محل نصب، خبر كان.

(٢) السحيل: الخيط المفرد، المبرم: الخيط المفتول.

(يمينًا) منصوب على النيابة عن المفعولِ المطلق لفعلٍ محذوف. (لنعم) اللام واقعة فى جواب القسم حرف مبنى، لا محل له من الإعراب. نعم: فعل ماض مبنى على الفتح. (السيدان) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى. والجملة الفعلية فى محل نصب المفعول الثانى لوجد. (وجدتما) فعل ماض مبنى على السكون، مبنى للمجهول، وضمير المخاطبين مبنى فى محل رفع، نائب فاعل. (على كل حال) جار ومجرور، ومضاف إليه، وشبه الجملة فى محل نصب، حال، أو متعلقة بـ (وجد). (من سحيل) جار ومجرور، وشبه الجملة فى محل جر، نعت لسحيل، (ومبرم) عاطف ومعطوف على سحيل.

وأصله: نعم السيدان أنتما، فلما دخل على المخصوصِ (أنتما) الفعلُ الناسخُ (وجد) أصبح: وجدتما.

- إذا كان الناسخُ حرفًا فإنه لا يدخلُ على المخصوصِ إلا إذا تقدمَ المخصوصُ على المدحِ والذمِّ، فتقول: إن محمدًا نعم المواطن، علمت أن عليًّا نعم الصدوقُ.

حيث المخصوصُ (محمدا وعليا) اسما (إن وأن) منصوبان، وخبرُهما جملتا المدحِ: (نعم المواطن، ونعم الصدوق).

ومنه قول أبى دهبل الجمحى:

إن ابنَ عبدِ الله نِعْ م أخُو الندى وابنُ العشيرة[1]

المخصوصُ بالمدحِ (ابن) اسمُ (إن) منصوب.

التراكيب التى يأتيان عليها إعرابيا:

تنبيهاتٌ تُرشدُ إلى إعرابِ مفرداتِ التراكيبِ التى يأتى فيها (نعم وبئس):

ـ إذا كان معمولُهما معرفةً فإنه يرفعُ، أى: إذا كان معرفًا بالأداة، أو مضافًا إلى المعرفِ بالأداةِ، أو: (ما).

ـ إذا كان معمولُهما نكرةً فإنه ينصب. أى: الاسم النكرة الذى يكون ظاهرًا بعدهما، وهو المميِّزُ للضميرِ الفاعلِ الواجب الاستتار.

- قد يمثل تركيبُهما جملةً فعليةً، وقد يمثل جملةً اسميةً، فيكون الإعرابُ على هذا التقدير.

---

(١) ديوانه ٩٦ / الهمع ٢ ـ ٨٧ / الأشباه والنظائر ٤ ـ ٢٠٥ / الخزانة ٩ ـ ٣٨٨.
(إن) حرف توكيد ونصب مبنى، لا محل له من الإعراب. (ابن) اسم إن منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. (عبد) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (الله) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (نعم) فعل ماض مبنى على الفتح. (أخو) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه من الأسماء الستة. (الندى) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة المقدرة، منع من ظهورها التعذر. (وابن) حرف عطف مبنى ومعطوف على أخ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. (العشيرة) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة.

obeikandl.com

– قد يمثل المخصوصُ جملةً اسميةً مستقلةً، محذوفةَ المبتدإِ أو الخبر. وقد يكون ركنًا من جملةٍ اسميةٍ يكملها جملةُ المدحِ أو الذم.

وبعدئذ؛ فإن (نعم وبئس) يأتيان فى اللغةِ فى أحدِ تركيبَيْن، مع استثناءِ ما يمكن أن يكونَ عليه التركيبُ من حذفٍ للمخصوص، وهما:

الأول: المخصوصُ مذكورٌ بعدَ جملةِ المدحِ والذم:

يبدأ هذا التركيبُ بجملةِ المدحِ أو الذم (فعل وفاعل فى إحدى صورِه السابقةِ)، ثم يذكر المخصوصُ مرفوعًا.

مثال ذلك: نعم الرجلُ المواطنُ الأمين.

نعم صفةُ المواطن الأمانةُ.

نعم رجلاً المواطنُ الأمين.

نعم ما يتصف به الرجلُ الأمانةُ.

وفى هذا التركيبِ يتوجه النحاةُ إزاءَ الإعرابِ إلى ما يأتى:

١- يذهب سيبويه ويتبعه ابنُ خروف وابنُ الباذش إلى أن جملةَ المدحِ أو الذمِّ خبرٌ مقدمٌ، والمخصوص مبتدأٌ مؤخر.

٢- أما جمهورُ النحاةِ فإنهم يذهبون إلى جوازِ الرأىِ السابقِ، مع جوازِ أن يكونَ المخصوصُ خبرًا لمبتدإٍ واجبِ الحذف، والتقدير: نعم الرجلُ الممدوحُ المواطنُ الأمين، أو: هو المواطنُ الأمينُ. وعلى ذلك فإن جملةَ المدحِ أو الذمِّ فعليةٌ لا محلَّ لها من الإعرابِ.

٣- ومنهم من يذهب إلى تعيينِ الرأىِ الثانى وحدَه، أى: يكون المخصوصُ خبرًا لمبتدإٍ واجبِ الحذف، وتكون جملةُ المدحِ أو الذم لا محلَّ لها من الإعراب.

٤- يذهب ابنُ عصفور إلى كون المخصوصِ مبتدأ حُذف خبرُه، وتكون جملةُ المدحِ أو الذمِّ لا محلَّ لها من الإعرابِ. والتقدير: نعم الرجلُ المواطنُ الأمينُ الممدوحُ.

obeikandl.com

والآراءُ السابقةُ هى الأكثرُ شهرةً وشيوعًا فى إعرابِ أسلوبِ المدحِ أو الذم. وعليها فإن إعرابَ القولِ: (نعم الخلقُ الصدقُ) يكون كالآتى:

(نعم) فعل ماض مبنى على الفتح.

(الخلق) فاعلٌ مرفوعٌ، وعلامةُ رفعِه الضمة.

والجملة الفعلية إما: لا محلَّ لها من الإعراب، وإما فى محلِّ رفعٍ، خبر مقدم.

(الصدق) إما: خبر مرفوعٌ، وعلامةُ رفعِه الضمةُ لمبتدإ محذوف، والتقدير. هو الصدق، أو الممدوح الصدق.

وإما: مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: الصدق الممدوح.

هذان الوجهان على أن الجملةَ الفعليةَ لا محلَّ لها من الإعراب.

وإما: مبتدأ مؤخر مرفوع، وخبرُه المقدم الجملة الفعلية.

٥ - ومن النحاةِ -ابن كيسان- مَنْ يذهب إلى أن المخصوصَ بدلٌ من فاعلِ (نعم وبئس).

وعليه فإن (الصدق) يكون بدلًا من (الخلق) مرفوعًا.

٦ ـ من النحاة ـ ابن العلج ـ من يذهب إلى أن (نعم) اسمٌ تقديرُه: (الممدوحُ)، والمخصوصُ عطفُ بيانٍ أو بدلٌ من المرفوعِ بعد (نعم)، فكأنك قلت: الممدوحُ الخلق الصدقُ. ويكون (الصدق) بدلًا أو عطفَ بيانٍ للخلق.

الثانى: المخصوصُ مذكورٌ قبلَ جملةِ المدحِ أو الذم:

قد يتصدرُ المخصوصُ أسلوبَ المدحِ أو الذمِّ، فيُذكر أولًا ثم يذكرُ بعده جملةُ المدحِ أو الذمِّ، وهذا التركيبُ قليلٌ فى الاستعمالِ، فيقال؛ المؤدِّى واجبَه نعم المواطنُ.

وليس لهذا التركيب إلا وجهٌ إعرابىٌّ واحدٌ، وهو إعرابُه إعرابَ جملةِ اسمية، حيثُ يكونُ المخصوصُ مبتدأً مرفوعًا، خبرهُ الجملةُ الفعليةُ (جملةُ المدحِ أو الذمِّ)،

وتكون فى محلِّ رفع، ويستغنى عن الرابطِ الذى يربط جملةَ الخبر بالمبتدإِ؛ لأن فى الخبرِ الجملـةِ اسمًا أعمَّ من المبتدإِ وهو الفاعل، فـفاعلُ فعلى المدح والذم أعمُّ من المخصوص.

ملحوظات:

أولا: أسلوب المدح أو الذم جملة اعتراضية:

يجوز أن يـقعَ أسلوبُ المدحِ أو الذمِّ جملةً اعـتراضـيةً بين العـاملِ ومعـمولِه. فيقال: أكرمتُ - ونعم الرجل هو - محمـدًا. حيث (أكرم) فعل ماض مبنى على الفتح، وتاء المتكلم ضـمير مـبنى فى محلِّ رفعٍ، فاعل له. (مـحمدا) مفـعولٌ به لأكرم منصوبٌ، وعلامةُ نصبِه الفـتحة. أما أسلوبُ المدح (نعم الرجل هو) فيعرب تفصيلاً بأحـدِ أوجهِ الإعرابِ المذكورةِ سابقًا، ثم يذكـر: وأسلوبُ المدحِ اعتراضى للمدح لا محل له من الإعراب.

ومنه أن تقـولَ: اجتنبْت - فـبئس الصـديقُ هو - سمـيرًا. حيث جـملةُ الذم اعتراضيةٌ لا محل لها من الإعراب.

ثانيا: الرابط بين المخصوص وجملة المدحِ أو الذم:

لـمَّا كان المخصوصُ يعـربُ فى أحدِ الأوجهِ مبتدأً خبرُه الجمـلةُ الفعليةُ الخاصة بالمدحِ أو الذم احتاج إلى رابطٍ يربِـطُه بجملةِ الخبر، وهذا الرابطُ هو شمـولُ الخبرِ على اسمٍ أعمَّ من المبتـدإِ، فالمخـصـوصُ يدخلُ فى جنس فـاعلِ (نعم وبئس)، وفاعلُهما فيه معنى الجنس، فهو بمثابةِ الاسمِ العام، والمخصوصُ هو الخاصُّ.

ثالثا: لا يفصلُ بين الفعليْن والمرفوع:

لا يجوز الفصلُ بين الفعلـيْن (نعم وبئس) ومرفوعِهما، سواء أكـان بشبهِ جملةٍ أم بغيرِ ذلك.

من تراكيب (ما):

قد تأتى (ما) بعد أحدِ فعلَى المدحِ والذمِّ فى عدةِ صورٍ، منها:

أ – أن تذكر (ما) بعد الفعلِ دون ذكرِ لفظٍ بعدها:

من ذلك القولُ: دققْتُه دقًّا نِعِمَّا. فيكون التقديرُ أحدَ أمرَيْن:

– إما أن يكون التقديرُ: نعم الشيْءُ الدقُّ، فتكون (ما) معرفةً تامةً فى محلِّ رفع، فاعل (نعم)، وهو ما عبر عنه بالشىء. أما المخصوصُ فإنه يكون محذوفًا، وهو ما قدِّر بـ (الدق).

– وإما أن يكونَ التقديرُ: نعم شيئًا الدقُّ، فيكون فاعلُ (نعم) ضميرًا مستترًا مميزًا بنكرة، وتكون (ما) نكرةً تمييزًا للفاعل المستتر فى محلِّ نصب. والمخصوصُ محذوفٌ تقديره: الدق. وهذا ما يذهب إليه الزمخشرى ومن تبعه.

ب – أن تذكرَ (ما) بعد الفعلِ، وتُتْلَى بمفردٍ:

ومنه قولُه تعالى: ﴿**إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ**﴾ [البقرة: ٢٧١]. توجه (ما) فى مثلِ هذا التركيبِ على ما يأتى:

– أن تجعلَ التقديرَ: فنعم الشىء هى. وعليه فإن (ما) تكون معرفةً تامةً فى محلِّ رفعٍ، فاعل (نعم)، ويكون الضميرُ (هى) مخصوصًا بالمدحِ، وفيه الأوجهُ الإعرابيةُ الثلاثة.

ـ أن تجعلَ التقديرَ: فنعم شيئًا هى، أى: نعم الشيْءُ شيئًا هى، فتكون (ما) نكرةً تامةً تمييزًا لفاعلِ (نعم) المستترِ الذى يقدرُ بـ(هو)، أى: الشىء الذى يعود على الصدقات. ويكون الضميرُ (هى) مخصوصًا بالمدح.

ويجوز أن يكونَ التقديرُ: فنعم الذى هو هى إبداؤها، فتكون (ما) اسمًا موصولًا، صلته الجملة الاسمية محذوفة المبتدإ، وخبرها هى، أما المخصوصُ فهو محذوف.

– أن تكونَ (ما) مركبةً مع الفعلِ (نِعْم) تركيبَ (ذا) مع (حَبَّ)، وهذا ما يذهب إليه الفراءُ ومَنْ تبعه، حينئذٍ لا موضعَ لها من الإعرابِ، ويكون (هى) فاعلَ (نعم). وهو أردأُ الأقوالِ.

ومنه قولُهم: بئسما تزويجٌ ولا مهرٌ.

ج - أن تذكرَ (ما) بعد الفعلِ، ويتلوها جملةٌ فعليةٌ:

ومنه قولُه تعالى: ﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ**﴾ [البقرة: ٩٠]. يحلل التركيبُ الذمىِّ طبقًا للآراءِ السابقة فى (ما) كما يأتى:

- أن يكونَ التقديرُ: بئس الشىءُ شىءٌ اشتروا به أنفسهم أن يكفروا...

- (بئس): فعلٌ ماضٍ مبنى على الفتح.

- (ما): اسم معرفة تامة مبنى فى محل رفع فاعل.

- والمخصوص بالذمِّ محذوفٌ تقديره (شىء) فى محل رفع، مبتدأ خبره محذوف، أو خبر لمبتدإ محذوف، أو مبتدأ مؤخر، خبره المقدم جملة الذم.

- (اشتروا) فعل ماض مبنى على الضمة المقدرة، وواو الجماعة ضمير مبنى فى محل رفع فاعل، والجملة الفعلية فى محل رفع، نعت للمخصوص بالذم المحذوف.

- (به) جار ومجرور مبنيان، وشبه الجملة متعلقة بالاشتراء.

- (أنفسهم) مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، وضمير الغائبين مبنى فى محل جر بالإضافة.

- (أن) حرف مصدرى ونصب مبنى، لا محل له من الإعراب.

- (يكفروا) فعل مضارع منصوب بعد أن، وعلامة نصبه حذف النون، وواو الجماعة ضمير مبنى فى محل رفع، فاعل، والمصدر المؤول فى محلِّ رفعٍ، بدل من المخصوص بالذم. أو عطف بيان له.

هذا هو الوجهُ الأكثرُ قبولًا فى إعرابِ مثلِ هذا التركيب لكن فيه أوجهًا أخرى مفادها:

- أن يكون التقدير: بئس الذى اشتروا به أنفسَهم أن يكفروا. فتكون (ما) اسما

موصولا فى محل رفع، فاعل، وجملة (اشتروا) صلة لا محل لها من الإعراب، والمصدرُ المؤول (أن يكفروا) هو المخصوص بالذم.

- أن يكونَ التقدير: بئس اشتراؤهم كفرهم، فتكون (ما) حرفا مصدريا، لا محل له من الإعراب، والمصدر المؤول (ما اشتروا) فى محل رفع، فاعل بئس، أما المصدر المؤول (أن يكفروا) هو المخصوص.

- أن يكون التقدير: بئس شيئا اشتروا به أنفسهم أن يكفروا، فتكون (ما) منصوبةً على التمييز لفاعل (بئس) المستتر وتقديره: هو، أما جملة (اشتروا) فهى فى محل نصب، نعت لما، ويكون المصدرُ المؤول (أن يكفروا) هو المخصوص.

- أن يكون التقدير: بئس شيئًا شيءٌ اشتروْا به أنفسَهم أن يكفروا، فتكون (ما) منصوبة على التمييز لفاعل بئس المستتر، أما المخصوص فهو محذوف، وجملة (اشتروا) فى محل رفع، نعت للمخصوص المحذوف، والمصدر المؤول (أن يكفروا) فى محل رفع، بدل منه، أو بيان.

- أن يكونَ التقديرُ: بئس ما ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا، أى: بئس شيئا الذى اشتروا، وعليه فإن (ما) تكون منصوبةً على التمييز لفاعل بئس المستتر، أما المخصوص فهو محذوف يقدر باسم موصول (ما)، وجملة (اشتروا) صلته، والمصدرُ المؤولُ (أن يكفروا) بدلٌ من المخصوص.

أو التبادلُ بين إعرابِ (ما) الظاهرة وإعرابِ (ما) المحذوفة. فتكون (ما) المذكورة مع صلتها المخصوصَ بالذم، ويكون فاعلُ (بئس) ضميرًا محذوفًا مميزًا بـ(ما) أخرى محذوفة فى محلِّ نصبٍ على التمييز.

- هذا إلى جانب ما إذا جعلت (ما) لا محلَّ لها من الإعراب كافةً لبئس عن العملِ، فدخل الفعلُ على الجملةِ الفعليةِ التى تتلوها كما هو فى: طال وقلَّ وكثر.

- فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ**﴾ [النساء: ٥٨]. يمكن لنا أن نطبقَ الأوجهَ السابقةَ كلها، إلا أننا فى بعض هذه الأوجه سنقدر محذوفًا مخصوصًا بعد جملةِ (يعظكم)، وفى أوجهٍ أخرى سنقدرُه بين جملة (يعظكم) و(ما).

من تراكيب (نعم وبئس) غير المألوفة[1]:

فاعل (نعم وبئس) نكرة:

قد يكون فاعلُ (نعم وبئس) منكرًا مفـردًا، نحو: نعم رجلٌ زيد، وعليه يقالُ: نعم مواطنٌ الذى ينتمى إلى وطنه.

فيكون النكرتان (رجل ومواطن) فاعلَىْ (نعم) مرفوعان، وقد ذكرنا أن فاعلَهما يكون معرفًا بالأداة أو مضافًا إلى المعرف بالأداة، أو ضميرًا مستترًا مميزًا بنكرة، أو (مـا)، فخـرجت النكرةُ عن السـمات البنيـوية لفاعـلَىْ (نعم وبئس)، وهو قليل جدًا.

فاعل (نعم وبئس) مضافًا إلى نكرة:

قد يكون فاعلُ (نعم وبئس) مضافًا إلى نكرةٍ مفـردةٍ، كما جاء فى قولِ الشاعرِ (ينسب إلى حسان بن ثابت أو إلى كثير بن عبد الله النهشلى):

فنعم صـاحبُ قومٍ لا سـلاحَ لهم وصاحبُ الركبِ عثمانُ بنُ عفانا[2]

حيث فاعلُ (نعـم) هو النكرةُ (صاحبُ)، وهو مفردٌ مـضافٌ إلى نكرةٍ (قوم)، فخرج بذلك عن السماتِ البنيويةِ لفاعلَىْ (نعم وبئس)، وهذا قليلٌ جدًا.

فاعلهما مضافًا إلى ضمير ما فيه أداةُ التعريف:

أجاز بعضُ النحـويين أن يكونَ فاعلُ (نعم وبئس) مـضافًا إلى ضمـيرِ ما فـيه الألفُ واللام. فـيـقـال: القـومُ نعم صـاحـبُـهم أنت. حـيث فـاعل (نعم) هو (صاحب)، وهو مضافٌ إليه ضميرٌ يعود على (القوم)، وهو اسمٌ معرفٌ بالأداة.

ومنه قولُ الشاعر [3]:

فنعم أخو الهيجا ونعم شهابُها

(١) يرجع إلى: شرح ابن يعيش ٧ - ١٣١ / الرضى على الكافية ١ - ٣١٧، ٣١٨.
(٢) ينظر: شرح المفصل ٧ - ١٣١ / المقرب ١ - ٦٦ / الصبان على الأشمونى ٣- ٢٨.
(٣) ارتشاف الضرب ٣ - ٢٠ / الصبان على الأشمونى ٣ - ٢٨.

حيث (شهـاب) فاعلُ (نعم) الثانى، وهو مضافٌ إلى ضمـيرٌ يعودُ على الاسمِ المعرفِ بالأداةِ (الهيجا)، وهذا لا يقـاس عليه لقلَّته.

فاعل (نعم وبئس) مقرونًا بالباءِ الزائدة:

قد يقرن فاعلُ (نعم وبئس) بالباءِ الزائدة تشبيهًـا لهما بفعلِ التعجب، وتضمينًا لهما معناه، فقد روى قولُهم: مرَّ بقومٍ نِعْم بِهِمْ قومًا، حيث زيدت الباءُ فى فاعلِ (نعم) الضمير، وكأنه قال: أنْعِمْ بِهِم قومًا! على لفظِ التعجبِ ومعناه.

المخصوص مسبوقًا بحرفِ الجر الزائد:

قد تدخلُ الباءُ الزائدةُ على المخصـوصِ بالمدحِ أو الذم، ومنه قولُه عليه السلام: «نِعِمَّـا بالمالِ الصالحِ للرجلِ الصـالح»، والتقديرُ: نعم شـيئًا المالُ الـصالحُ للرجلِ الصالح، حيث دخل حرفُ الجرِّ الزائدُ (الباءُ) على المخصوصِ بالمدحِ (المال).

وقد سبق حرفُ الجر الزائدُ (مِنْ) المخصوصَ فى قولِ الشاعر:

تَخَـــيَّـــرَه ولم يعـــدِلْ ســـواه فنعْـمَ المرءُ من رجلٍ تـهـــامى[1]

حيث (مِنْ) حرفُ جر زائد للتوكيد، وهذا ضرورة، أو شذوذ.

فاعلهما الضمير ظاهرًا:

فاعلُ (نعم وبئس) إذا كان ضـميرًا فإنه يجب أن يستـتر وأن يكونَ مميزًا بنكرةٍ، لكنه قد يظهر، حـيث رُوِى قولُهم: مررْت بقومٍ نِعْموا قومًـا. حيث فاعلُ (نعم) ضمـيرٌ مميـزٌ بالنكرة (قومًـا)، فكان يجب أن يكونَ مسـتترًا، لكنـه ظهر وهو واوُ الجماعة، وهذا قليلٌ، ومحكومٌ بشذوذِه[2].

المخصوصُ مساوٍ لفاعلِ (نعم وبئس):

قد يأتى تركـيبُ المدحِ أو الذمِّ على مثال: نـعم عبدُ الله زيدٌ، وبئس عـبدُ الله هو، حيث يكون المخـصوصُ بالمدحِ أو الذمِّ مـساويًا فى معناه الظـاهرِ الدالِّ عليه لفظُه مع فاعلِ (نعم وبئس)، وقد ذكـرنا أن المخصوصَ يجب أن يكونَ واحدًا من

(١) ينظر: المقرب ١ ـ ٦٩ / أوضح المسالك ٢ - ١١٣. (٢) شفاء العليل ٢- ٥٨٨.

جنسِ فاعلِ المدحِ أو الذم، أى: يكونُ الفاعلُ دالًّا على الجنس، وهذا مخالفٌ لهذه السمةِ التى يجب أن يكونَ عليها الفاعل.

وإن قُبِل هذا التركيبُ فإنه يكون على سبيلِ تنكيرِ المضافِ، كأن يفهمَ من الفاعلِ (عبد الله) معنى (عبد).

فاعل (نعم وبئس) اسمًا موصولًا:

أجاز المبردُ [1] والفارسىُّ [2] إسنادَ فعلَى المدحِ والذمِّ إلى الاسمِ الموصولِ (الذى) على أنه يدلُّ على الجنسِ[3]، فتقول: نعم الذى يأمرُ بالمعروفِ محمدٌ، أى: نعم الأمرُ... فيكون دالاً على الجنس.

كما أجاز قومٌ ذلك مع (من وما) الموصولتَيْن مقصودًا بهما الجنسُ، فيقال عند هؤلاء: نعم مَنْ يتقنُ عمله علىٌّ، نعم ما تتصف به من صفةٍ الصدقُ.

حذف التمييز والمخصوص معًا:

قد يحذف تمييزُ فاعلِ (نعم وبئس) والمخصوصُ بالمدحِ أو الذمِّ معًا، كأن تقولَ: إن فعلْت كَذَا فبها ونِعمَتْ، والتقديرُ: نعمت فعلةً فعلتُك، بحذف التمييزِ واسمِ الممدوح[4].

ومنه قولُه ﷺ: «**مَنْ توضَّأَ يومَ الجمعة فَبِها ونِعْمَتْ**»[5]. والتقدير: فبالسُّنة أخذ، ونعمت السُّنَّةُ هذه الحالة. أو: ونِعْمَتْ سنةً هذه الحالةُ، أو: هذه السُّنَّة[6].

قد يلحق الفعلَيْن علامة التأنيثِ مع المخصوص المؤنث:

إذا كان المخصوصُ بالمدحِ أو الذمِّ مؤنثًا فإنه قد يلحق الفعلَيْن (نِعْم وبِئْس) علامةُ التأنيثِ مع الفاعلِ المذكرِ، تأثرًا بتأنيثِ المخصوصِ. من ذلك قولُ الشاعر:

---

(١) المقتضب ٢ ـ ١٤٢.
(٢) الإيضاح العضدى ٤٥.
(٣) شفاء العليل ٢ ـ ٥٨٩.
(٤) ينظر: المقرب ١ ـ ٦٦، ٦٧.
(٥) سنن ابن ماجه ١ ـ ٣٤٧/ رياض الصالحين ٤٤٣.
(٦) ينظر: شرح التسهيل ٣- ١٤، ١٥/ شفاء العليل ٢- ٥٨٨/ المساعد ٢- ١٣٠.

نعـــمـت جـــزاءُ المتـــقـين الجنةُ دارُ الأمـــــــانى والمـنى والمـنة[1]

حيث المخـصوصُ بالمدحِ (الجنةُ)، وهو مـؤنثٌ، أما فاعـلُ (نعم) وهو (جزاء) مذكرٌ، ولكن الفعلَ لحقته علامةُ التأنيثِ جوازًا لتأنيثِ المخصوص.

ومنه -كذلك- قولُ ذى الرمة:

أو حـرةٌ عـيطلٌ ثبـجـاءُ مُجـفـرةٌ دعائمَ الزَّوْرِ نعـمَتْ زورقُ البلد[2]

حيث فاعلُ (نعم) زورقُ، وهو مذكرٌ، لكن الفعلَ لحقته علامةُ التأنيثِ، وذلك لأن المخصوصَ مؤنثٌ، وهو (حرة).

(حب) فى المدح والذم

يُستعملُ التركيبُ (حَبَّذَا) للمدحِ العام، أمَّا للذمِّ العام فإنه يستخدم هذا التركيبُ منفيًّا بالسلب (لا حبذا). حيث:

---

(١) ينظر: شرح التسهيل ٣- ٢٠/ شفاء العليل ٢- ٥٩٢/ المساعد ٢ ـ ١٣٧/ شرح الشذور ٢١.

(نعـمت) فـعل ماض مـبنى على الفـتح، والتـاء: حـرف تأنيث مـبنى على السكون، لا مـحل له من الإعراب. (جزاء) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. (المتقين) مضاف إليه مجرور، وعلامة، جره الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم. والجملة الفعلية لا مـحل له من الإعراب، أو فى محل رفع، خبر مقدم. (الجنة) خبر لمبتدإ محذوف، أو مبـتدأ خبره محذوف، أو مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامـة رفعه الضمة، والتقدير: هى دار. (الأمانى) مضـاف إليه مجرور، وعـلامة جره الكسرة المقدرة. (والمنى) عـاطف ومعطوف على الأمانى مجرور، (والمنة) عاطف ومعطوف مجرور.

(٢) ينظر: التبصرة والتذكرة ١ ـ ٢٧٦/ شرح ابن يعيش ٧ ـ ١٣٦/ المقرب ١ ـ ٦٨/ ديوانه ١٤٦ .

العـيطل: طويلة العنق، ثبجـاء: عريض مـا بين الكاهل إلى الظهـر، المجفـرة: الناقة العظيم وسطـها، الدعامة: خـشبة الخيمة، والمقـصود بها هنا: القوائم، زورق: السـفينة والبلد الأرض والمفازة، الزوراء: أعلى الصدر.

(أو) حرف عطف مبنى، لا محل لـه من الإعراب. (حرة) معطوف على مرفوع سابق مـرفوع، وعلامة رفعه الضمة. (عيطل ثبجاء مجفرة) صفات لحـرة مرفوعة وعلامة رفع كل منها الضمة. (دعائم) مفعول به لمجفرة منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. (الـزور) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (نعمت) فعل ماض مـبنى على الفتح، والتاء حرف تأنيث مبنى. (زورق) فـاعل مرفوع، وعلامة رفعـه الضمة. والجملة الفعلية فى مـحل رفع، خبر مقدم، أو لا محل لها من الإعراب. (البلد) مـضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسـرة. والمخصوص بالمدح محذوف، وهو إما مبـتدأ مؤخر، وإما مبتدأ خـبره محذوف، وإما خبر لمبتدإ محذوف.

(حب):

فعلٌ ماضٍ على مثال (فَعُل) مضمومَ العين، وهو: حَبُبَ، بضم الباءِ الأولى، ثم أدغم المتماثلان، وأصلُه: (حبب) بفتح العين، وهو فعلٌ غيرُ متصرف لخروجه عن أصلِ معناه إلى المدح.

(ذا):

اسمُ إشارةٍ للمفرد، خلع منه الإشارة -وهى للتعريفِ- لغرضِ الإبهام، ولذلك فإن تقديرَ (حبذا): حب الشيءُ.

واسمُ الإشارةِ (ذا) يلزم الفعلَ (حب) لإفادةِ المدحِ العام، أو الذمِّ العام، فإذا انفردَ الفعلُ عنه كان من قبيلِ المدحِ الخاص والذمِّ الخاص.

وتخصيصُ اسمِ الإشارةِ (ذا) فى هذا التركيبِ لأنه اسمٌ مبهمٌ ينعت بالأجناسِ، فيقال: هذا الرجلُ، هذه المرأة... إلخ.

وحكمُ (حب) كحكم (نعم وبئس) فى الإسنادِ إلى ما يدلُّ على الجنس، فركَّبوا (حب) مع (ذا) لينوبَ عن أسماءِ الأجناس، فهو يجرى مجرى ما فيه الألفُ واللامُ من أسماءِ الجنس.

ولذلك فإنه يقال: حبذا الصديقُ الأمينُ، كما تقول: نعم الرجلُ الصديقُ الأمينُ، فقابل اسمُ الإشارة (ذا) اسمَ الجنس (الرجل).

كما أنه يكون بمنزلةِ المضمرِ فى (نعم)، ولذلك فإنه فسر بالنكرةِ ومُيِّز بها، فيقال: حبذا رجلًا وحبذا امرأةً، بنصبِ كلٍّ من (رجل وامرأة) على التمييز. كما مُيِّز الضميرُ فى (نعم) بالنكرةِ المنصوبة، حيث يقالُ: نعم رجلًا، ونعم امرأةً، أو: نعمت، والتقديرُ: نعم هو رجلًا، وهى امرأةً.

ولذلك فإنك تقول: حبذا رجلًا المواطنُ الوفى، كما تقول: نعم رجلًا المواطنُ الوفى، حيث مُيز كلٌّ من اسمِ الإشارةِ (ذا) والضميرِ المستترِ فى (نعم) بالنكرةِ المنصوبةِ (رجلًا).

(لا):

حرفُ نفيٍ يدخل على التركيبِ (حبذا) الدالِّ على المدحِ، ليجعلَه مفيدًا للذمِّ، فتقول: لا حبَّذا الكذبُ، لا حبذَا المرأةُ غيرُ الوفية. لا حبذا المواطنُ الخائن.

يلحظ فى دخولِ حرفِ النفيِ (لا) على (حبذا) ما يأتى:

- (لا) لا يدخلُ على الفعلِ الماضى الجامد فى أصلِ وضعه.

- كما أنه لا يدخل على الاسمِ ـ إن لم يُفد الجنسَ، وإن لم يكرَّرْ.

فتقول: لا مواطنَ خائنٌ، لا بائعَ غشاشٌ حيث أفاد كلٌّ من (مواطن) و (بائع) التعبيرَ عن الجنس.

ولكنك تقول: لا المواطنُ خائنٌ ولا المواطنةُ، لا إهمالك مفيدٌ ولا تراخيك، فقد كررت (لا) لأنها دخلَتْ على معارفَ لم تفدِ الدلالةَ على الجنس.

من ذلك قولُ الشاعر:

ألا حبذا عاذِرِى فى الهوى ... ولا حبذا الجاهلُ العاذلُ[1]

الشطرُ الأولُ مدحٌ، والآخرُ ذمٌّ.

وقول كنزةَ صاحبةِ ذى الرمة، أو: لذى الرمة:

ألا حبَّذا أهلُ الملا غيرَ أنه ... إذا ذُكِرتْ مىٌّ فلا حبذا هيا[2]

---

(١) شفاء العليل ٢ ـ ٥٩٦/ شرح التصريح ٢ ـ ٩٩/ الهمع ٢ ـ ٨٩/ أوضح المسالك ٢ ـ ٢٩٠.

(ألا) حرف استفتاحٍ وتنبيه مبنى لا محل له من الإعراب. (حبذا) حب: فعل ماض مبنى على الفتح. ذا: اسم إشارة مبنى فى محل رفع، فاعل. وجملةُ المدحِ الفعلية إما لا محلَّ لها من الإعراب، وإما فى محل رفع، خبر مقدم. (عاذرى) عاذر: المخصوص بالمدح، وهو إما مبتدأ مرفوع بالضمة المقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بالكسرة المناسبة لضمير المتكلم، وخبره محذوف، وإما خبر مرفوع مقدرًا لمبتدإ محذوف، وإما مبتدأ مؤخر، وخبره المقدم جملة المدح. وضمير المتكلم مبنى فى محل جر بالإضافة. (فى الهوى) جار ومجرور بكسرة مقدرة للتعذر، وشبه الجملة متعلقة بعاذر. (ولا) الواو: حرف عطف مبنى، لا محل له من الإعراب. لا: حرف نفى مبنى، لا محل له من الإعراب. (حبذا الجاهل) كإعراب حبذا عاذر. (العاذل) نعت للجاهل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

(٢) شرح ابن الناظم ٤٧٤/ شرح ابن عقيل ٣ ـ ١٦٩. =

حيث ذمَّ أهل الملا وذم مىَّ أو ميًّا.

الأوجه الإعرابية المحتملة فى تركيب (حبذا):

يذهب النحاةُ مذاهبَ شتَّى ومختلفةً فى إعرابِ تركيبِ (حبذا) على النحو الآتى:

- الرأىُ الأكثرُ شيوعًا وقبولًا إعرابُ تركيبِ المدحِ بـ (حبذا) بالأوجهِ الإعرابيةِ الشائعةِ فى تركيبى (نعم وبئس)، حيث يكون إعرابُ المثلِ: (حبذَا الوفاءُ) على النحوِ الآتى:

(حبَّ) فعلٌ ماضٍ مبنى على الفتح.

(ذا) اسمُ إشارةٍ مبنى فى محل رفع، فاعل.

والجملةُ الفعليةُ إما فى محلِّ رفعِ خبرٍ مقدم، وإما لا محلَّ لها من الإعراب.

(الوفاءُ) وهو المخصوصُ بالمدحِ، فيكون إما: مبتدأً مؤخرًا مرفوعًا، وعلامةُ رفعِه الضمة، على أن جملةَ المدحِ الفعليةِ فى محل رفعٍ، خبر مقدم. مع ملاحظة أنه لا يجوزُ أن يتقدمَ المخصوصُ على (حبذا) لفظًا، وبذلك فإنه من الأفضل والأرجح أن نتجاوزَ هذا الوجهَ من الإعراب، وهو احتسابُ المخصوصَ مبتدأً مؤخرًا، خبرُه المقدمُ جملةُ (حبذا).

= (ألا) حرف استفتاح وتنبيه مبنى، لا محل له من الإعراب. (حبذا) فعل وفاعل، والجملة إما خبر مقدم، وإما لا محل لها من الإعراب. (أهل) هو المخصوص، فيكون إما مبتدأً مؤخرا، وإما مبتدأً حذف خبره، وإما خبرًا محذوف المبتدإ. (الملا) مضاف إلى مجرور، وعلامة جره الكسرة المقدرة، منع من ظهورها التعذر. (غير) اسم استثناء منصوب وعلامة نصبه الفتحة. (أنه) أن: حرف توكيد ونصب مبنى، لا محل له من الإعراب. وضمير الغائب مبنى فى محل نصب، اسم أن. (إذا) اسم شرط غير جازم مبنى فى محل نصب على الظرفية. (ذكرت) فعل ماض مبنى على الفتح مبنى للمجهول، والتاء للتأنيث حرف مبنى، لا محل له من الإعراب. (مى) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، والجملة الفعلية فى محل جر بالإضافة. (فلا) الفاء حرف واقع فى جواب الشرط للربط والتأكيد مبنى، لا محل له من الإعراب. لا: حرف نفى مبنى، لا محل له من الإعراب. (حبذا) فعل وفاعل، والجملة إما خبر مقدم، وإما لا محل لها من الإعراب. (هى) المخصوص بالذم، فيعرب إما مبتدأ مؤخرا، وإما خبرًا لمبتدإ محذوف، وإما مبتدأ خبره محذوف. والألف للإطلاق، وجملة فلا حبذا هى) لا محل لها من الإعراب جواب شرط إذا، والتركيب الشرطى فى محل رفع، خبر أن، والمصدر المؤول من أن ومعموليها فى محل جر بالإضافة.

وإما مبتدأً خبرُه محذوفٌ، والتقدير: الوفاءُ الممدوح. أو: خبر لمبتدإٍ محذوف، والتقديرُ: هو الوفاء، أو الممدوحُ الوفاء، على أن الجملةَ الفعليةَ لا محلَّ لها من الإعراب.

فإذا قلت: حبذا الوفاءُ صفةً، فإن (صفة) تعرب تمييزًا للفاعلِ اسمِ الإشارة.

لكن هناك مذاهبَ أخرى فى إعرابِ التركيبِ، وهى:

- يرى بعضُ النحاةِ -وعلى رأسهم المبردُ وابنُ السراج وابنُ عصفور- غلبةَ صفةِ الاسميةِ على الفعليةِ فى التركيبِ، حيث إن الفعلَ (حب) عندما رُكِّب مع الاسمِ (ذا) أزال (ذا) فعليةَ (حب) إلى اسميته، وعلى ذلك يكون التقديرُ فى التركيبِ: المحبوبُ الوفاء، فيعرب (حبذا) مبتدأً خبره المخصوصُ.

- يذهب بعضُهم نقيضَ الرأى السابق، حيث يرى غلبةَ الفعليةِ على الاسمية، حيث أزال التركيبُ اسميةَ (ذا)، فصار الفاعلُ كبعضِ حروفِ الفعلِ، ويكون الإعرابُ:

(حبذا) فعلٌ، والمخصوص (الوفاء) فاعله، و(ذا) لغو.

- يذهبُ قومٌ إلى أن المخصوصَ يكون عطفَ بيان لاسمِ الإشارةِ.

- ويذهب آخرون إلى أنه بدلٌ من اسمِ الإشارة.

ولكن هذا يُردُّ بأنه لا يجوز الاستغناءُ عنه، كما لا يحل محلَّ المبدلِ منه، كما هو حدُّ البدل، حيث البدلُ فى نيةِ تكريرِ العامل.

- يذهب آخرون ـ وعلى رأسهم الربعى ـ إلى أن (ذا) زائدةٌ، وعليه فإن (حب) فعلٌ، والمخصوصُ فاعلُه، فتكون (حبذا) عند هؤلاء مثالَ (ماذا).

- يرى بعضهم أن (حب) و(ذا) بمنزلةِ كلمةٍ واحدة، مثل: لولا، وهو اسمٌ مرفوعٌ، حينئذٍ يكون المخصوصُ خبرًا له، وينسب هذا إلى الخليل.

خصائص تركيبِ (حبذا):

لتركيب (حبذا) فى المدحِ والذم سماتٌ أو خصائصُ خاصة، بعضها يختص به، والأخرى مقرونةٌ بينه وبين تركيبِ (نعم وبئس)، ذلك على النحوِ الآتى:

أ – مبنى اسم الإشارة فى التركيب:

يلزم اسمُ الإشارةِ فاعلُ (حَبّ) الإفرادَ والتذكير.

فيقال: حبَّذَا الأمينُ. – حبذا الأمينةُ.

حبَّذَا الأمينان. – حبذا الأمينتان.

حبذا الأمناءُ. – حبذا الأمينَاتُ.

ويعلَّلُ لذلك بما يأتى:

– إما لأن تركيبَ (حبذا) للمدحِ والذمِّ –ببنيَتِه هذه– صار بمنزلةِ المثل، والأمثالُ لا تتغيرُ بنيتُها عبرَ الأجيال؛ لذلك فإن هذا التركيبَ فى معْنى المدحِ والذم لا يتغيرُ بنيويا.

– وإما لأن اسمَ الإشارةِ (ذا) فى هذا التركيبِ صار اسمَ جنسٍ شائعا، فالتزم فيه الإفراد.

– وإما لأن اسمَ الإشارةِ مع الفعلِ صارا بمنزلةِ كلمةٍ واحدة، فصار اسمُ الإشارةِ فى منزلةِ بعضِ الكلمة، فلا يجوز فيه شىءٌ من التغيرِ العددى أو الجنسى، ذلك لأنه لا يتغيرُ جزءُ الكلمةِ إلا فى الكلماتِ المعربة، حيث يتغيرُ ضبُط أواخرِها لتغيرِ موقعِها فى الكلامِ.

ويدلَّل على ذلك بأنه لا يفصلُ بين الفعلِ (حبَّ) و(ذا) بشىءٍ.

ب– ينصب (حبذا) النكرة:

لا ينصب (حبذا) إلا النكراتِ، حيث تكونُ تمييزًا لاسمِ الإشارةِ الفاعلِ، وقد تذكر النكرةُ المنصوبةُ تمييزا بعد المخصوصِ أو قبله. فتقول:

حبذا المؤمنُ إنسانًا، وحبذا إنسانًا المؤمن.

obeikandl.com

ومنه قولُ الشاعر:

ألا حبـــذا قـومًـا سليمٌ فـــإنهم وَفَوْا إِذْ تواصَوْا بالإعانةِ والنَّصرِ[1]

تقـدم التمييزُ النكـرةُ المنصوبـةُ (قـومـًا) على المخصوصِ بالمدْحِ (سليم).

وقولُ الآخر:

حـبـذا القـبـــرُ شـيـمـةً لامـرئٍ رامَ مـــبـاراةَ مـــولَعٍ بالمعـــالى[2]

حـيث ذكرت النـكرةُ المنصوبةُ تمـيـيـزًا لفـاعلِ (حب) بعـد المخصـوصِ بالمدحِ (الصبرِ).

قد يكون المنصوبُ بعد (حبذا) حالاً، كما هو فى قول الشاعر:

يا حـبـذا المالُ مبـذولاً بلا سَـرَفٍ فى أوجـه البـرِّ إسرارًا وإعـلانا[3]

---

(١) شرح التسهيل ٣- ٢٨/ شفاء العليل ٢ ـ ٥٩٦/ الدرر ٢ ـ ١١٧/ الهمع ٢- ٨٩.

(ألا) حرف استفتاح وتنبيه مبنى، لا محل له من الإعراب. (حبذا) حب: فعل ماض مبنى على الفتح. ذا: اسم إشارة مبنى فى محل رفع، فاعل. (قوما) تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. والجملة الفعلية خبر مقدم فى محل رفع، أو لا محل لها من الإعراب.

(سليم) المخصوص وهو مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفـعه الضمة، أو: خبر لمبتدإ محذوف، أو: مبتدأ خبره مـحذوف. (فإنهم) الفاء عاطفـة سببية حـرف مبنى، لا محل له من الإعراب. إن: حـرف توكيد ونصب مبنى، لا محل له من الإعـراب. وضمير الغائبين مبنى فى مـحل نصب، اسم إن. (وفوا) فعل ماض مبنى على الضم المقدر. وواو الجماعة ضمير مبنى فى محل رفع، فاعل، والجملة الفعلية فى محل رفع، خبر إن: (إذ) ظرف زمان مبنى على السكون فى محل نصب متعلق بالوفاء. (تواصوا) فعل ماض مبنى على الضم المقدر، وواو الجماعة ضمير مـبنى فى محل رفع، فاعل. والجملة الفعلية فى محل جر بالإضافة. (بالإعـانة) جار ومجرور، وشبه الجمـلة متعلقة بالتواصى. (والنصر) عـاطف مبنى ومعطوف على الإعانة مجرور.

(٢) شرح التسهيل ٣- ٢٨/ شفاء العليل ٢ ـ ٥٩٦/ الدرر ٢ ـ ١١٧/ الهمع ٢- ٨٩.

(لامرئ) شبه جملة فى محل نصب، نعت لشيمة، ويجوز أن تتعلق به. (رام) جملة فعلية فى محل جر نعت لامرئ. (مـولع) مضاف إليـه مجرور، وعلامـة جره الكسرة. (بالمعـالى) جار ومجـرور بالكسرة المقدرة، وشبه الجملة متعلقة بمولع.

(٣) المساعد ٢ ـ ١٤٤/ شفاء العليل ٢ ـ ٥٩٧.

(يا) حرف تنبيه مبنى، لا محل له من الإعراب، أو حرف نداء مبنى حذف المنادى منه. (حبذا) فعل ماض مبنى على الفتح. ذا: اسم إشـارة مبنى فى محل رفع، فاعل. والجملة فى محل رفع، خـبر مقدم، أو لا محل لها من الإعراب. (المال) مبتـدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، أو مبـتدأ حذف خبره، أو خبر لمبتدأ مـحذوف. (مبذولا) حال منصـوبة، وعلامة نصبهـا الفتحة. (بلا) حرف جـر مبنى، لا محل له =

(مبذولًا) حالٌ منصوبة، والعاملُ فيها (حَبَّ).

ومنه أن تقولَ: حبذا الأستاذُ شارحًا، وحبذا شارحًا الأستاذُ.

واختلف النحاةُ فى توجيهِ إعرابِ المنصوبِ بعد (حبذا):

- فمنهم من جعلَه تمييزًا مطلقًا.
- ومنهم من جعله حالًا مطلقًا.
- ومنهم من جعله مفعولًا به لفعلٍ محذوفٍ تقديره،أعنى.
- ومنهم من جعلـه تمييزًا إذا كـان اسمًـا جامـدًا، وحالًا إذا كان مشتقًّا.

وأرى أن الرأى الأخيرَ أكثرُ قبولاً.

ج - حذف مخصوص (حبذا):

قـد يحذف المخـصـوصُ لقرينةٍ دلت علـيه، ومنه قـولُ عـبد الله بن رواحـة الأنصارى:

بـاسِـم الإلـهِ وبـه بَـدِينـا ولو عـبـدْنا غيـرَه شـقِـينا

فحبَّذا ربّاً وحبَّ دينا (١)

أى: فحبذا الإله ربًّا، وحب دينه دينا.

وقول الآخر:

ألا حـبـذا لولا الحـيـاءُ وربما منَحْتُ الهوى مَنْ ليس بالمتقارِب(٢)

= من الإعراب، وحرف نفى مبنى، (سرف) اسم مجرور بعد الباء، وعلامة جره الكسرة، وشبه الجملة فى محل نصب، حال من الضمير فى مبذول، أو متعلقة بالبذل. (فى أوجه) جار ومجرور، وشبه الجملة متعلقة بالبذل. (البر) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (إسرارا) مصدر واقع موقع الحال منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. (وإعلانا) عاطف مبنى ومعطوف على (إسرارا) منصوب.

(١) شرح التسهيل ٢- ٢٨/ شرح ابن الناظم ٤٧٧ / المساعد ٢ ـ ١٤٤ / شفاء العليل ٢ ـ ٥٩٧ / الدرر ٢ ـ ١١٥/ شرح التصريح ٢- ٩٩.

(٢) شرح التسهيل ٢- ٢٨/ المساعد ٢ ـ ١٤٥ / شفاء العليل ٢ ـ ٥٩٧ / الدرر ٢ ـ ١١٦/ الهمع ٢- ٨٩/ الصبان على الأشمونى ٣- ٣١. =

والتقديرُ: ألا حبذا حالى معك، إشارةً إلى ما سبق هذا البيت من معنى.

د- إسناد (حب) إلى غير (ذا):

قد يسنـد الفعلُ (حبَّ) إلى غيـرِ اسمِ الإشارةِ (ذا)، فـتفتـح فاؤُه، أو تُضم، ويكون فيه معنى المدح التعجبى.

فتقول: حُبَّ الصدقُ، وحَبَّ.

ويجوز أن يجرَّ الفاعلُ -هنا- بالباءِ، كما ورد فى قولِ الأخطل:

فـقلت اقـتُلُوهـا عنكم بمزاجِـهـا وحُبَّ بهـا مقتـولةً حين تقـتلُ[1]

بضمِّ حاءِ (حب)، وفتحها.

= (ألا) حرف تنبيـه واستفتـاح مبنى، لا محل له من الإعراب. (حبـذا) فعل ماض وفاعل، والجـملة خبر مقدم لمبتدأ مؤخر محذوف. (لولا) حرف شرط غير جازم مبنى، لا محل له من الإعراب. (الحياء) مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، وخبره محذوف تقديره (يمنعنى). (وربما) حرف عطف، وحرف جر شبيه بالزائد، وحرف كاف لرب، وكل منهـا مبنى لا محل له من الإعراب. (منحت) فـعل وفاعل. (الهوى) مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة، منع من ظهورها التعذر. (من) اسم موصول مبنى فى محل نصب، مـفعول به ثان. (لـيس) فعل ماض ناقص مـبنى على الفتح، واسمـه ضميـر مستـتر تقديره: هو. (بالمتـقارب) الباء: حرف جر زائد مـبنى، لا محل له من الإعراب. المتقـارب: خبر ليس منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. وجملة ليس مع معموليها صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب.

(١) ينظر: الأصول ١ ـ ١٣٧ / التـبصرة والتـذكرة ١ ـ ٢٨١ / أسرار الـعربية ١٠٨/ شـرح ابن يعيش ٧ ـ ١٢٩ / الخزانة ٤ ـ ١٢٢ .

(فقلت) الفاء بحسب ما قبلها. قال: فعـل ماض مبنى على السكون، وتاء المتكلم ضمير مبنى فى محل رفع، فاعل. (اقـتلوها) فعل أمر مـبنى على حذف النون. وواو الجـماعة ضـمير مـبنى فى محل رفع، فاعل، وضمير الغائبة مبنى فى محل نصب، مفعول به، والجملة الفعلية فى محل نصب، مقول القول. (عنكم) جار ومجرور مـبنيان. وشبه الجملة متعلـقة بالقتل. (بمزاجها) جار ومجـرور بالكسرة مضاف، وضمير الغائبة مـبنى فى محل جر بالإضافة، وشبه الجملة متعلقـة بالقتل. (وحب) الواو حرف استئناف لا محل له. حب: فـعل ماض مبنى على الـفتح. (بها) البـاء: حرف جر زائد مـبنى، لا محل له من الإعراب. وضمير الغائبة مبنى فى محل رفع، فـاعل حب. (مقتولة) حالٌ منصوبة، أو: تمييز منصوب. (حين) ظرف زمان مبنى على الفتح فى محل نصب متعلق بـحب. (تقتل) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضميـر مستتر جوازًا تقديره: هى، والجملة الفعلية فى محل جر بالإضافة.

هـ - إسقاط اسمِ الإشارة من (حبذا):

يجوز أن يسقطَ اسمُ الإشارة (ذا) من (حبذا)، وحينئـذ يلزمه التفسيرُ كما يلزم (نعم) حين إسنادِه إلى الضمـيرِ المستترِ، فـتقول: حُبَّ رجلًا محمـدٌ. بفتحِ الحاءِ وبضمها.

ز- دخول حرف النداء على (حب):

يكثرُ دخولُ حرفِ النداءِ (يا) على (حَبَّ)، ولم يُسْتـوحشْ مباشرةُ حرفِ النداء له، ومنه قولُ جرير:

يا حـبَّـذَا جـبلُ الـريَّانِ من جـبلٍ وحـبَّذَا سـاكنُ الريَّان مَنْ كـانا[1]

ح - ذكر التمييز بين (حبذا) و (نعم):

ذكرنا أن اسمَ الإشارةِ من (حبذا) يجـرى مجرى اسمِ الجنسِ المعرفِ بالأداة مع (نعم)، كما أنه يجـرى مجرى الضميرِ الفاعـلِ المستترِ معه، ولذلك فإنـه قد يميز بنكرةٍ منصوبةٍ جوازًا، أى: يجوز أن تذكرَ الـنكرةُ المنصوبةُ مع (حبذا)، ويجوز ألا تذكرها، فـتقول: حبـذا مسلمًا الذى يعـمل بشعبِ الإيمان، وحبـذا الذى يعمل بشعبِ الإيمانِ مسلمًا، وحبذا الذى يعملُ بشعبِ الإيمان.

---

(١) ينظر: شرح ابن يعيش ٧- ١٤٠/ المقرب ١ ـ ٧٠ / الهمع ٢- ٨٨/ ديوانه ٥٩٦.

(يا) حرف نداء مبنى، لا محل له من الإعراب، والمنادى محـذوف، والتقدير: يا قومى، أو حرف تنبيه مبنى، لا مـحل له من الإعراب. (حبـذا) فعل ماض مبـنى على الفتح، واسم الإشارة فـاعله مبنى فى محل رفع. والجـملة فى محل رفع، خبـر مقدم، أو لا مـحل لها من الإعراب. (جـبل) مبتدأ مـؤخر مرفوع، وعلامـة رفعه الضمة. أو مبـتدأ محذوف الخبر، أو خـبر لمبتدأ محذوف. (الريان) مـضاف إليه مجـرور، وعلامة جـره الكسرة. (من) حرف جـر زائد مبنى، لا مـحل له من الإعراب. (جبل) تمـيز منصوب، وعـلامة نصبـه الفتحـة المقدرة، منع من ظهـورها اشتغـال المحل بحركة حـرف الجر الزائد. (وحبـذا) عاطف مبنى، وفـعل ماض مـبنى، وفاعل مبنى، والجـملة خبـر مقدم، أو لا مـحل لها من الإعراب. (ساكن) مبتدأ مـؤخر، أو خبر لمبتدإ محذوف، أو مبتدأ خبـره محذوف. (الريان) مضاف إليه مجرور، وعـلامة جره الكسرة. (من) اسم مـوصول مبنى فى محل رفع، بدل من سـاكن. (كانا) فعل ماض تام مبنى على الفتح، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو. والألف للإطلاق حرف مبنى، لا محل له من الإعراب، وجملة (كان) صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب.

ولكن التمييزَ فى (نعم) إذا كان فاعلُه ضميرًا مستترًا فإن ذِكرَه واجب، فلا يجوز لك إلا القولُ: نعم مؤمنًا الذى يعمل بشعب الإيمان، حيث فاعلُ (نعم) ضميرٌ مستترٌ تقديرُه: (هو)، فكان ذكرُ تمييزِه المنصوبِ واجبًا، وهو: (مسلمًا)، ولا يجوز حذفُه.

ط - دخول النواسخ على مخصوص (حبذا):

لا يجوز أن يَدخل النواسخُ على المخصوصِ فى تركيب (حبذا)، حيث لا يجوز أن يتقدمَ على جملتى المدحِ والذم.

ولكنه يجوز أن تدخلَ عليه فى تركيبِ (نعم وبئس)، فيقال: إن محمدًا نعم الطالبُ، وبئس المتحدثُ كان الكذوبَ.

ى ـ رتبةُ مخصوص (حبذا):

لا يجوز أن يتقدمَ المخصوصُ فى تركيبِ (حبذا)، على خلاف المخصوصِ فى تركيبِ (نعم وبئس)، حيث يجوز تقديمُه. فتقول: محمدٌ نِعْمَ المسلمُ، ونعم المسلمُ محمدٌ.

ولكنه لا يجوزُ إلا أن تقولَ: حبذَا محمدٌ، على هذا الترتيبِ فى التركيبِ.

ما كان مضمومَ العين فى الماضى فى المدح والذم:

يرى معظمُ النحاةِ أن كلَّ فعلٍ صالحٍ للتعجبِ منه يجوز أن يستخدمَ استخدامَ (نعم وبئس) فى إرادةِ معنى المدحِ أو الذم.

الفعل الذى يصلح التعجبُ منه:

يشترطُ فيه أن يكونَ: ثلاثيًا، متصرفًا، تامًا، مثبتًا، قابلًا للتفاوتِ أو التفاضل، ليس الوصفُ منه على مثال: أفعل مذكرًا، وفعلاءَ مؤنثًا، مبنيًّا للمعلوم. وكلُّ فعلٍ تتوافرُ فيه هذه الشروطُ يصحُّ التعجبُ منه، كما أنه يجوز أن تُضَمَّ عينُه فى الماضِى ليستعملَ فى المدحِ والذمِّ.

ضم عين الفعلِ الماضى:

ضمُّ عين الفعلِ الماضى فى هذا الباب يكون جوازًا:

إما من طريق الأصالة، أى: أن الفعلَ مضمومٌ عينُ ماضِيه فى بنائِه الأصلى، نحو ظرُف، كرُم، شرُف، جمُل، حسُن، طهُر.....

وإما من طريقِ التحويلِ، أى: أن ماضىَ الفعلِ ليس مضمومَ العينِ فى بنائه الأصلى، لكن تضمُّ العينَ لتحويلِ صيغة الماضى إلى المعنى المقصودِ من المدحِ أو الذم، وذلك نحو: فَهُم، سَمُع، عَلُم، نَزُل، قَتُل، ضَرُب... إلخ، وكلُّها مضمومُ العين، فيصير المتعدى منها لازمًا، ويكتسبُ هذا البناءُ معنى الغرائز.

استخدامه استخدام (نعم وبئس):

مثلُ هذه الأفعالِ التى تضمُّ عينُها فى الماضى يجوز -عند أكثرِ النحاةِ- أن تستعملَ استعمالَ (نعم وبئس)، من حيث:

أ- إفادةُ معنى المدحِ والذمِّ حسبَ دلالةِ الجذر، إن حُسْنًا وإن قُبحًا. فيكون (فهُم وجمُل وحسُن وعظُم) مفيدًا معنى المدح، أما (خبُث وقبُح وفَسُقَ وغَدُر) فإنها تفيد معنى الذم.

ب- حكم فاعل (نعم وبئس): إن ظاهرًا وإن مضمرًا.

ج- أحكام المخصوص بالمدحِ أو الذم، من حيث: الموقعُ الإعرابى، وأوجهُ رفعه، وتقديمُه وتأخيرُه، وجوازُ حذفه إذا تقدم ما يدلُّ عليه أو يُشعرُ به.

فتقولُ: فَهُم الطالبُ محمدٌ، ويكون بمثابةِ قولِك: نعم الفاهمُ محمدٌ. وتقول: خبُث الرجلُ المرائى، ويكون بمثابةِ القول: بئس الخبيثُ المرائى.

ومنه القولُ: حَسُنَ الخلُق حلمُ الحلماء. وعظُم الكرمُ تقوى الأتقياء، وقَبُحَ العملُ عنادُ المبطلين. وفسُق الرجلُ خائنُ العهد. وتقول: صدُق رجلاً أبو بكر.

ومنه قولُه تعالى: ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾ [الكهف: ٥]، حيث يوجه التركيبُ (كبرت كلمة) على وجهين:

أولهما: أن يكون التقديرُ: ما أكبرها كلمةً، وذلك على معنى التعجب، فيكون فاعلُ (كبر) ضميرا مستترا عائدا على ماقالوه. وتكون (كلمة) منصوبةً على التمييز، أما الجملة الفعلية (تخرج) فتكون فى محل نصبٍ، نعتٌ لكلمة.

والآخر: أن يكون على معنى الذم، نحو قولك: بئس رجلا، فيكون فاعل (كبر) ضميراً مستتراً مميزًا بالنكرة المنصوبة (كلمة)، ويكون المخصوصُ محذوفا تقديره (هى) تعود على كلمة، وجملة (تخرج) فى محل رفع، صفة للمخصوص بالذم.

وقولُه تعالى: ﴿**وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩]. وقولُه: ﴿**وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف: ٣١].

ومنه قولُ الشاعر:

حَسُنَ فِعْلًا لقاءُ ذى الشروةِ المُمْـ ـلقِ بالبشرِ والعطاءِ الجزيلِ[1]

ومنه: ساء، حيث تقول: ساء الرجلُ الصديقُ الخائنُ، وساءَ رجلًا الصديقُ الخائن، فيكون كقولك: بئس الرجلُ...، وبئس رجلًا...، حيث (الرجل) فاعل (ساء)، أما (رجلا) فهو تمييز منصوب للفاعل الضمير المستتر، والتقدير: ساء هو رجلا. و(الصديق) فى القولين هو المخصوص.

وساء من السوْء، وأصلُها: سوأَ بفتحِ العيْن، ضمت الواو، فتحركت، وانفتح ما قبلها، فقلبتْ إلى ألفٍ، وصارت إلى ما هى عليه من النطقِ.

ومنه قولُه تعالى: ﴿**وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف: ٢٩]. وقولُه: ﴿**سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [الأنعام: ١٣٦].

---

(١) شرح التسهيل ٣- ٢٨/ شفاء العليل ٢-٥٩٧ / الهمع ٢ ـ ٨٩.
(حسن) فعل ماض مبنى على الفتح. (فعلا) تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. (لقاء) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، (ذى) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه من الأسماء الستة. (الثروة) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة. (المملق) نعت لذى مجرور، وعلامة جره الكسرة. (بالبشر) جار ومجرور، وشبه الجملة متعلقة بالمملق، (والعطاء) حرف عطف مبنى، ومعطوف على البشر مجرور، وعلامة جره الكسرة. (الجزيل) نعت للعطاء مجرور، وعلامة جره الكسرة.

حيث تكون (ما) معرفةً اسمًا موصولًا فى محلِّ رفعٍ، فاعل، والتقديرِ: ساء الذى يحكمون به قولُهم، أو حكمُهم. . . .

وإما أن تكون نكرةً تمييزًا، والفاعلُ ضميرٌ مستترٌ تقديرُه: (هو) مميز بالنكرةِ، وجملة (يحكمون) فى محل نصبٍ، نعت لـ (ما).

وعلى الوجهين فإن المخصوصَ يكون محذوفًا.

ومنه قولُه تعالى: ﴿ **سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا** ﴾ [الأعراف: ١٧٧][(١)].

لكنه لابدَّ من تقديرِ محذوفٍ فى مثل هذه الآيةِ الكريمةِ، حتى يصدقَ الفاعلُ وتمييزُه والمخصوصُ على شىءٍ واحدٍ، فيقدر أحدُ تقديرين:

أولهما: إما أن يكونَ: ساء أهلُ مثلِ القوم الذين. . .

والآخر: ساء مثلًا مثلُ القوم. . .

وسواءٌ أكان هذا أم ذاك، فإن المضاف إليه يقوم مقامَ المضافِ، ويأخذ حكمَه الإعرابى.

ج ـ قد يُجرَّ الفاعلُ بالباءِ الزائدة فيكون دالًّا على المدحِ أو الذمِّ مع التعجب. «حكى الكسائى عن العرب: مررت بأبيات جُدْن أبياتًا، وجاد بهن أبياتًا» [(٢)] حيث ذكر فاعلُ (جاد) مرةً ضميرًا بارزًا، وأخرى مسبوقًا بالباءِ الزائدة.

وقال الطرِمَّاح:

---

(١) (ساء) فعل ماض مبنى على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو. (مثلا) تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. والجملة خبر مقدم، أو لا محل لها من الإعراب. (القوم) مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. أو خبر لمبتدإ محذوف، أو مبتدأ خبره محذوف. (الذين) اسم موصول مبنى فى محل رفع، نعت للقوم. (كذبوا) فعل ماض مبنى على الضم، وواو الجماعة ضمير مبنى فى محل رفع، فاعل، والجملة صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب. (بآياتنا) الباء: حرف جر مبنى لا محل له من الإعراب. آيات: مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة، وشبه الجملة متعلقة بالتكذيب. وضمير المتكلمين مبنى فى محل جر بالإضافة.

(٢) ارتشاف الضرب ٣ ـ ٢٨ / أوضح المسالك ٢ ـ ٢٨٩ .

حُبَّ بالزَّوْرِ الذى لا يُرَى منه إلا صفةٌ أو لِمام [1]

وفيه فاعلُ (حب) (الزور)، وهو مسبوقٌ بالباءِ الزائدةِ.

استعمال هذا التركيب للتعجب:

يجوز استعمالُ التركيبِ الفعلى ذى الفعلِ الماضى المضمومِ العين استعمالَ الفعلِ الدالِّ على معنى التعجب، من حيث:

أ- لا يلزم فاعلُه الإضمارَ، أو أداةَ التعريف (ال)، كما هو فى معنى المدحِ والذم.

ب- أن يستغنى عن المخصوصِ.

ج- ومنه قولُ الأخطل يمدح خالد بن عبد الله بن أبى العيص:

فقُلْت اقتلوها عنكم بمِزاجِها وحُبَّ بها مقتولةً حين تُقْتلُ [2]

يروى بضمِّ الحاءِ وبفتحِها، وكلاهما للمدحِ والتعجب، وفاعل (حب) ضميرُ الغائبة المسبوق بحرف الجرِ الزائد (الباء)، فهو مثل قوله تعالى: ﴿**وكفى باللَّه شهيدًا**﴾ حيث فاعلُ (كفى) هو لفظ الجلالة تعالى (الله)، وهو مسبوق بالباءِ الزائدةِ. أما (مقتولة) فإنها منصوبةٌ على الحالية.

(١) شرح التصريح ٢ - ٩٩/ الصبان على الأشمونى ٣- ٣٩.

الزور: الزائر، صفحة: جانب، لمام: جمع لمة، بكسر اللام وتشديد اللام، وهى الشعر يجاوز شحمة الأذن.

(حب) فعل ماض مبنى على الفتح. (بالزور) الباء: حرف جر زائد مبنى، لا محل له من الإعراب. الزور: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. (الذى) اسم موصول مبنى فى محل رفع، نعت للزور على المحل. (لا) حرف نفى مبنى، لا محل له من الإعراب. (يرى) فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة، منع من ظهورها التعذر. (منه) جار ومجرور مبنيان، وشبه الجملة متعلقة بالرؤية. (إلا) حرف استثناء مبنى، لا محل له من الإعراب. (صفحة) نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب. (أو) حرف عطف مبنى، لا محل له من الإعراب، (لمام) معطوف على صفة مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

(٢) الأصول فى النحو ١ - ١٣٧ / التبصرة والتذكرة ١ - ٢٨١- أسرار العربية ١٠٨/ شرح ابن يعيش ٧ - ١٢٩ / الخزانة ٤ - ١٢٢.

د- الأصل ضمُّ عين الفعلِ (حبّ) للمدح، فهو (حبُب)، فإن نقلْنا حركةَ العين إلى الفاءِ بعد حذفِ حركتِها ضمت فاء الكلمة، وإن حذفنا حركةَ العيْن دون نقلٍ فتحت فاءَ الكلمة، ثم يدغم المثلان، فيسكن الأولُ منهما.

هـ- ويقال: إن الباءَ فى مثلِ هذا التركيبِ زائدةٌ على غيرِ قياس.

كما يقال: إنها للتعجبِ، أى: هى دليلٌ على التعجب.

و ـ ولأن فيه معنى التعجبِ، فإنه يجوز لك أن تقولَ فى: الوفى حَسُن رجلًا:

الوفيان حَسُنا رجلين. الأوفياء حَسُنوا رجلًا.

والوفية حسنت امرأةً. الوفيتان حَسُنتا امرأتينْ.

الوفيات حَسُنَّ نساءً.

كما تقول فى (ما أحسن الوفىَّ رجلا):

ما أحسن الوفيين رجلين. ما أحسن الأوفياءَ رجلًا.

ما أحسن الوفيةَ امرأةً. ما أحسنَ الوفيتَيْن امرأتَيْن.

ما أحسن الوفياتِ نساءً.

****

obeikandl.com